وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
الدراسات العليا / ماجستير
قسم اللغة العربية

منهج البغداديّ(ت1093هـ/1682م) في اختياراته الأدبية في كتاب تراجم الأدباء

رسالة تقدمت بها الطالبة

رغـــد جــابر مكـي حمـزة المـالـكـي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/الأدب

بإشراف

أ. م. د علـي كـريـم حميـدي المسعـــودي

1446هـ **2024م**

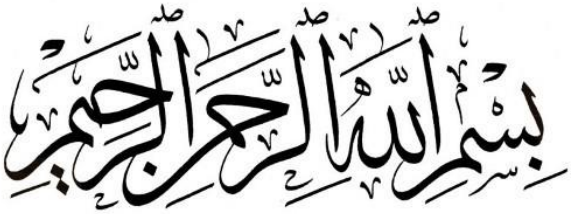

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة الجمعة: من الآية:4)

إقرار المشرف على الرسالة

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (**منهج البغداديّ(ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) في اختياراته الأدبية في كتاب تراجم الأدباء**) المقدَّمة من طالبة الماجستير (**رغد جابر مكي**) قد جرى بإشرافي في جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية، وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وادابها.

التوقيع:

اسم المشرف: أ.م.د علي كريم حميدي

التأريخ: ٣ / ١١ / ٢٠٢٤

توصية السيد رئيس القسم

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

رئيس القسم اللغة العربية

أ.د ليث قابل الوائلي

التأريخ: ٢/١١/٢٠٢٤

قرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(**منهج البغداديّ (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) في اختياراته الأدبية في كتاب تراجم الأدباء**) وناقشنا الطالبة (**رغد جابر مكي**) في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وادابها /ادب بتقدير ( ).

التوقيع

الاسم : أ.د علي كاظم محمد علي

رئيس اللجنة ٢٠٢٤/٩/١٠م

التوقيع

الاسم: أ.د فهد نعيمة مخيلف

عضواً

٢٠٢٤/٩/١٠م

التوقيع

الاسم :أ.م.د هدى سعيد بدر العميدي

عضواً ٢٠٢٤/٩/١٠

التوقيع

الاسم : أ. م. د علي كريم حميدي

عضواً ومشرفاً

٢٠٢٤/٩/١٠

مصادقة مجلس الكلية:

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء في جلسته ( ) بتاريخ ( ) على قرار لجنة المناقشة.

التوقيع:

أ.م.د صلاح مجيد كاظم السعدي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

١٦ / ٩ / ٢٠٢٤

الإهـــــــداء

أهــدي هـــــذا الجهـد العلمــي إلـــى:

مَصدَرَي النُّورِ والعطاءِ في حياتي

والـــــديَّ الحبيبـين

(أمــدهمــا اللـــه بالصحــة والعـافيـــة)

الباحثة

شُكرٌ وعِرفان

أَوَّلاً : أَحمدْ اللَّهْ عزَّ وجلَّ الَّذي هداني إِلى هذا

ثَانِيًا : أَتقدَّمُ بالشُّكرِ الجزيلِ إِلى أُستاذي المشرفِ المحترَمِ الأُستاذِ المساعد الدّكتورِ علي كريمْ حميدِي اَلمسعودي الَّذي أَجاد علي بِعلْمهِ وَنَصحه وعلى صبرهِ معي وَالشُّكرُ موصولٌ إِلى أَساتذتي فِي قسمِ اللُّغةِ العربيَّةِ الَّذينَ تتلْمذتْ على أَيدِيهِم فِي اَلسَّنةِ التّحضيريَّة لما قدَّمُوهُ منْ قيمٍ علميَّة وأَخلاقيَّة واجْتماعيَّة فجزاهُمْ اَللَّهُ عنِّي خير الجزاءِ

كما أَتقدَّمُ بِالشُّكر والتّقديرِ إِلى أَعْضاءِ لجنةِ المناقشة المحترمينَ لِما تَجَشَّمُوا من عناءِ اَلْحُضورِ إِلى هذا المكانِ، وقِرَاءةُ اَلرِّسَالَةِ؛ لِتَقْوِيمِ مَا غَفَلَتْ عَنْهُ .

الباحثة

ثبت المحتويات

ت	الموضوع	رقم الصفحة
1	الآية	ب
2	الإهداء	ت
3	الشكر والعرفان	ث
4	ثبت المحتويات	ج - ح
5	المقدمة	خ ـ د
6	التمهيد: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية من عصر البغداديّ	10-1
7	**الفصل الأول: المـؤلف وكـتـابـــــه**	
8	المبحث الأول: حيـاة المـؤلف	24-12
9	المبحث الثاني: منهجـه فـي تراجـم الأدبـاء	39-25
10	المبحث الثالث: مصـــادره	54-40
11	**الفصل الثاني: أُسس الاختيارات الشعرية**	
12	المبحث الأول: الأساس المـوضـوعي	81-56
13	المبحث الثاني: الأساس الزمـاني والمكـانـي	105-82
14	**الفصل الثالث: الأسس الفنية للاختيـارات**	
15	المبحث الأول: الألفـاظ والتـراكيـب	123-107

16	المبحث الثاني: الصـورة الفنـية	132–124
17	المبحث الثالث: المـوسيقـى	152–133
18	الخاتمـــة	155–153
19	المصـــادر والمراجـــع	175–157

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

المقدمّة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلامُ على أشرف المرسلين، وخير النَّبيين المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم المصطفى الأمين مُحمَّدٍ وآله الطَّيبين الطَّاهرين، وصحبهِ المنتجبين.

أمّا بعد...

فقد كان الأدب العربي معينًا لا ينضب، يمدنا بمكنونات جواهره على طول الزمان والعصور، وإنَّ كتاب (تراجم الأدباء) هو إحدى تلك الجواهر الثمينة الّتي بقيت حبيسة المكتبات، مرهونة بالنسيان، حتى انبرى لها رجالٌ، ليكشفوا عن وجهها المنير، ويعيدون رونقها من جديد، إذ قام الأخوان الدكتور مزاحم علي عشيش البعاج والدكتور مالك علي عشيش البعاج بتحقيقه وإخراجه على النحو الّذي بين أيدينا، وأهم ما يميز هذا الكتاب كثرة الأعلام ممن ترجم لهم، فكان حافلًا بأسماء كثيرة من علماء وفقهاء وأدباء ونحاة ولغويين وشعراء، واحتواه على نصوص شعرية انتقاها البغداديّ من شعراء معروفين إذ عمد فيه إلى اختيار الأجود والأفضل مما تأنس له النفس وتطرب. ويعود الفضل في اقتراح هذا الموضوع إلى أستاذي الفاضل الدكتور علي كريم حميدي المسعودي الّذي عرض عليَّ الموضوع وبيّن لي أهمية الكتاب وجودته، وكثرة نصوصه الشعرية.

واقتضت خطة البحث أنْ تُقَسَّم على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

أمَّا التمهيد فقد تناولتُ فيه الجوانب السياسية، والاجتماعية، والأدبية من عصر البغداديّ، وتكفل الفصل الأول بدراسة المؤلف وكتابه في ثلاثة مباحث، هي: حياة المؤلف، ومنهجه في تراجم الأدباء، ومصادره. وفي الفصل الثاني درست أُسس الاختيارات الشعرية الّتي

اعتمدها المؤلف، وكانت على مبحثين: هما الأساس الموضوعي، والأساس الزماني والمكاني. وتكفل الفصل الثالث بدراسة الأسس الفنية للاختيارات، فكانت على ثلاثة مباحث: هي الألفاظ والتراكيب، والصورة الفنية، والموسيقى، وأعقبها أبرز النتائج الّتي توصل إليها البحث، وتبعتها قائمة المصادر والمراجع الّتي أفادت الدراسة.

أما المنهج الّذي اعتمدت عليها فكان منهجًا وصفيًا تحليليًا، قادرًا على استغوار السطح اللغوي الشاخص إلى أعماقه المستترة، بحسب ما يتيحه الجهد والمعرفة والذوق.

أما ما يتعلق بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فإنها تنوعت بين كتب التراجم والأدب، ودواوين الشعر العربي والتاريخ، وكذلك عدد من الرسائل والأطاريح والبحوث الأكاديمية على نحو ما مثبت في قائمة المصار والمراجع.

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أنْ أتقدم بوافر الشكر، والتقدير الى أستاذي المشرف الأستاذ المساعد الدكتور علي كريم حميدي المسعودي؛ لتفضله بالإشراف على هذا البحث، وقد منحني من وقته وجهده كثيرًا، فجزاه الله عني خير الجزاء وأطال عمره خدمة للعلم وأهله.

وفي الختام: لا أدَّعي أنَّني أنجزتُ هذا العمل على أكمل وجه فالكمال لله وحدهُ، ولكنِّي بذلتُ قصارى جهدي في إنجازه، فإن كان في البحث حسنة فبتوفيق الله سبحانه وتعالى، ثمّ بجهد أستاذي المشرف الّذي قوَّم هذا العملَ، وإنّ كان فيه نقصٌ، فمن نفسيّ، وحسبي أنِّي ابتغيتُ الصّواب والحمد لله أوّلًا وآخرًا.

التمهيد

جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية

والأدبية من عصر البغداديّ

إن للظروف السياسية، والاجتماعية، تأثيرًا واضحًا في الأدب على مر العصور التاريخية، بدءًا من العصر الجاهلي، وصولًا إلى العصر الحديث.

ومثلما كان لهذه الظروف أثرها البارز في أدب العصور الّتي سبقت العصر العثماني، كذلك ظهر أثرها جليًا في الأدب العربي، في القرن الحادي عشر للهجرة، وهذا ما سنشير إليه لاحقًا، ولهذا يكون من الأنسب أن نعرض جوانب من الحياة السياسية، والاجتماعية خلال ذلك العصر، لفهم أوجه تأثيرها على الحياة الأدبية.

أ – الحياة السياسية:

إن المدة الّتي نشأ بها المؤلف هي مدة حروب وصراعات بين الدولتين الصفوية والعثمانية ولكي يتوضح لنا الوضع السياسي في العراق في العصر العثماني، يجدر بنا أن نلقي نظرة موجزة على تاريخ الدولة العثمانية، كيف جاءت إلى العراق، ودوافع صراعها مع الدولة الصفوية على العراق. تأسست الدولة العثماني سنة (700هـ\1200م) شمال غرب الأناضول على أنقاض المملكة السلجوقية، وعلى حساب الإمبراطورية البيزنطية، إذ استولت فيما بعد على أملاك هذه الإمبراطورية، وفرضت سيطرتها على الأناضول وأصبحت إمبراطورية واسعة الأرجاء[1]، واعتمدت في توسعها على إعلان الجهاد لنشر الدين الإسلامي في أوربا فاتجه العرب والمسلمون لمساندة الدولة العثمانية من أجل الفتوحات لنشر الديانة الإسلامية في أوربا[2]، وعندما توقفت الدولة العثمانية أمام أسوار فينا [3] أدركت في القرن السادس عشر أن التوجه الأوروبي نحو الشواطئ العربية يستهدف تطويقها، وأن التعاون الأوروبي الصفوي ينحو

([1]) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، د. سيد محمد السيد محمود: 77.

([2]) ينظر: تاريخ العراق الحديث، د. ايناس سعدي عبدالله: 172.

([3]) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية: 260.

هذا المنحى[1]، فاتجهت نحو أقطار الوطن العربي، فبذلك غيرت استراتيجيتها. وتوجهت نحو المناطق العربية الإسلامية الّتي من الممكن أن تمنحها مكانة دينية[2].

فكرت الدولة العثمانية بالسيطرة على بلاد الشام ومصر؛ لأن من يحكم مصر له حق حماية الحرمين الشريفين مكة والمدينة، وبذلك تكسب موقعًا دينيًا، وسياسيًا، وعسكريًا في آن واحد [3]، وكذلك فكرت بالسيطرة على العراق الذي يعد مركزًا للحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي، فإذا سيطرت على العراق فإنها ستحرز على مركز ديني مهم وكذلك موقعه الجغرافي، والعسكري المهم [4]. وهكذا يمكن القول: إن الدولة العثمانية أفادت من الدين الإسلامي لخدمة مصالحها [5].

ويتولى السلطان سليم الأول عرش الدولة العثمانية سنة (919هـ/1513م) الّذي قرر تغيير استراتيجية الدولة العثمانية بالتوجه نحو المشرق العربي، واتخذت الدولة سياسة عنيفة فيما يتعلق بمشاكلها الخارجية، وكانت لشخصية السلطان سليم الأول أثرًا كبيرًا في رسم السياسة الخارجية بهذا الطابع[6]. وقد أخل هجومه الناجح على دولة الصفويين في معركة جالديران سنة

([1]) ينظر: البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصري: 38.

([2]) ينظر: م . ن : 40.

([3]) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية: 220.

([4]) ينظر: تاريخ العراق الحديث والمعاصر، د. محمد سهيل طقوش: 22.

([5]) ينظر: م . ن : 24.

([6]) ينظر: العهد العثماني، محمود شاكر: 100.

(920هـ/1514م)[1] بسياسة توازن القوى بين الدول الإسلامية الكبرى الثلاث لصالح الدولة العثمانية [2]، وهذه الدول هي:

1- الدولة العثمانية: الّتي كانت تحاول السيطرة على أوربا ثم غيرت مسارها نحو المشرق.

2- الدولة الصفوية: والّتي كانت مسيطرة على بلاد فارس.

3- الدولة المملوكية والّتي كانت مسيطرة على بلاد الشام ومصر، ولهم حق حماية الحرمين الشريفين.

ومن الجانب الآخر أضحى هناك توجه لعقد جبهة مضادة للعثمانيين بين كل من الصفويين والمماليك، فأخذت كل من الدولتين الصفوية والمملوكية بالتفاوض سرًا ضد الخطر العثماني المشترك، وفي الوقت نفسه الّذي كان فيه المماليك يقطعون خطوط الإمدادات العثمانية المارة بالأراضي الخاضعة لنفوذهم. وزاد من تدهور الموقف وقوع عدد من الرسائل المتبادلة بين الصفويين والمماليك بيد السلطان العثماني سليم الأول الّذي قرر اتخاذ موقف عسكري حاسم، تمثل بالقضاء على الدولة المملوكية بفتح بلاد الشام ومصر، وبذلك فرض سيطرته على الحجاز، وفرض حمايته على الحرمين الشريفين مكة والمدينة[3] .

بعد القضاء على الدولة المملوكية بدأ الصراع العثماني الصفوي بالسيطرة على العراق، واتخذ من الاختلاف المذهبي ذريعة لهذا الصراع. وخاصة بعد أن أعلن الشاه إسماعيل الصفوي

([1]) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية: 237.

([2]) ينظر: دوافع الصراع العثماني الصفوي على العراق في العهد العثماني، رجاء حسين الخطاب، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد،53: 229.

([3]) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية: 221.

حين جلوسه على عرش تبريز سنة (906هـ/1501م) إقرار المذهب الجعفري مذهبًا رسميًا بجميع بلاد فارس[1]. أثار هذا الإعلان حفيظة العثمانيين الّذين كانوا يعتنقون المذهب الحنفي[2] وكانت كل من الدولة العثمانية والصفوية تطمع في السيطرة على العراق، فانقض الشاه إسماعيل الصفوي أولًا على العراق سنة (913هـ/1508م) وأخضعه للسيطرة الصفوية[3]. فبدأت بذلك سلسلة من الأزمات المذهبية التي عانى منها العراق. وكانت قسوة الشاه إسماعيل الصفوي على أهل العراق سببًا في الطلب من السلطان العثماني سليم الأول بعده صاحب السيادة القانونية على جميع دار الإسلام؛ لإنقاذهم من الاضطهاد المذهبي فلبى السلطان العثماني هذا النداء لدوافع مذهبية ولأهداف سياسية، واستطاع أن يهزم الشاه إسماعيل الصفوي في معركة جالديران سنة (920هـ/1514م)، وأن يستولي على قسم من العراق[4].

ولم تمضِ على جالديران إلا (19) سنة، كانت بمثابة هدنة غير موقعة بين الطرفين، وتنتهي هذه المدة بالحملة السلطانية الثانية إلى العراق بقيادة السلطان سليمان القانوني[5]، وبدأ العصر العثماني في العراق بانتصار السلطان سليمان القانوني على الصفويين، واستيلائه على بغداد سنة (941هـ\1534م) [6].

([1]) ينظر: العهد العثماني: 99.

([2]) ينظر: الصراع الصفوي العثماني وتأثيراته على المشرق العربي: 62.

([3]) ينظر: م . ن : 133.

([4]) ينظر: تاريخ العراق الحديث: 200.

([5]) ينظر: دوافع الصراع العثماني الصفوي على العراق في العهد العثماني، رجاء حسين الخطاب، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد، 53: 234.

([6]) ينظر: العراق في العهد العثماني، د. علاء موسى كاظم: 27.

وكان هذا العصر مرحلة صراع عنيف بين العثمانيين والصفويين، وبعد مقتل الشاه الصفوي طهماسب سنة (984هـ/1576م)، أصبحت بلاد فارس في فوضى نتيجة لتولي أولاده السلطة بالتعاقب، والّذين لم يكونوا يتمتعون بالمقدار نفسه في الكفاءة الّتي كان يتمتع بها الشاه طهماسب، فاستغل السلطان العثماني سليم الثاني تلك الفوضى، وأرسل جيشًا بهدف الاستيلاء على بعض المناطق، وضمها للدولة العثمانية [1]، واستمرت الاضطرابات والحركات ما يقرب ثلاث عشرة سنة، ثمّ عقدت معاهدة بين الدولتين سنة (999هـ/1590م) حصلت الدولة العثمانية بموجبها على بعض المناطق الجديدة[2] . ثمّ وقعت الحرب بينهما من جديد ودامت ثلاث سنوات انتهت بعقد معاهدة صلح سنة (1022هـ/1613م)، ونتيجة لتجاوز الشاه الصفوي عباس على كردستان شمال العراق أرسل السلطان العثماني جيشًا لإخضاع الشاه، وفي مواجهة مع هذا الجيش طلب الشاه الصلح فعُقِدَت معاهدة صلح سنة (1027هـ/1618م)[3].

ظل العراق ميدانًا للصراع ما بين الدولتين العثمانية والصفوية، ففي سنة (1032هـ/1623م) انتهز الشاه الصفوي عباس الأول فرصة تمرد وقع على الحامية العثمانية في بغداد، فزحف بقواته إلى العراق، وتمكن من احتلال بغداد بعد مقاومة ضارية [4] حدث خلالها قتل العديد من السكان، ومن سلم من القتل لم يسلم من التعذيب، وإن عددًا كبيرًا من السكان أرغموا على ترك بيوتهم، واضطهد الفرس أهالي بغداد وانعدم الأمان [5].

([1]) ينظر: العراق في العهد العثماني: 22.

([2]) ينظر: دوافع الصراع العثماني الصفوي على العراق في العهد العثماني، رجاء حسين الخطاب، مجلة الآداب، العدد، 53: 228.

([3]) ينظر: العراق في العهد العثماني: 48.

([4]) ينظر: العراق في العهد العثماني الثاني: 28.

([5]) ينظر: م . ن : 33.

وفي سنة (1034هـ/1625م) جرت المحاولة الأولى لطرد الصفويين، وذلك لأن طموح البلاط العثماني كان ملحًا في استعادة بغداد، وقد أسفرت أولى العمليات العسكرية الّتي دارت في شهرزور عن إيقاع الهزيمة بالصفويين، وتصفية نفوذهم هناك. وواصلت القوات العثمانية الّتي كانت بقيادة الصدر الأعظم أحمد باشا تقدمها نحو بغداد، فأثار ذلك ذعر القيادة الصفوية الّتي سارعت بإرسال الإمدادات. وتحرك الشاه الصفوي عباس بجيشه من أصفهان غير أن طلائع الجيش الصفوي هزمت، وفرض الحصار على بغداد [1]. وخلال مدة الحصار الّتي دامت تسعة أشهر، جرت مفاوضات بين الطرفين لم تسفر عن شيء. ولما كانت القوات العثمانية غير مجهزة بالذخيرة اللازمة، فإن الحملة انتهت بالخيبة، وتراجعت القوات عن بغداد[2].

وقد قضت الاضطرابات الداخلية الّتي تمر بها الدولة العثمانية في تلك الحقبة، أن تنصرم ثلاثة أعوام دون أن تظهر علامات الاستعداد ثانية للزحف نحو بغداد الّتي كانت تحت الاحتلال الصفوي[3]. وفي سنة (1038هـ/1629م) شهد العراق مرة أخرى مواجهة عسكرية بين الطرفين، وتمكنت القوات العثمانية من تطويق بغداد، والضغط على الحامية الصفوية إلا أن خطة الحصار الذي دام أربعين يومًا خابت ثانية [4].

([1]) ينظر: العراق في العهد العثماني: 59.

([2]) ينظر: أدب العراق في العهد العثماني، د. علي أحمد الزبيدي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 26:467.

([3]) ينظر: تاريخ العراق الحديث: 249.

([4]) ينظر: دوافع الصراع العثماني الصفوي على العراق في العهد العثماني، رجاء حسين الخطاب، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 53: 230.

وفي سنة (1044هـ/1634م) تحرك السلطان العثماني مراد الرابع إلى بغداد عن طريق الموصل [1]، وعند وصوله بغداد اتخذ مواقعه في مواجهة أسوارها، وخلال الأيام الأولى من القتال حدثت عملية الأطباق الكلي على الحامية الصفوية، واشتد الهجوم على جميع مواقعها القائمة عند أبواب بغداد الأربعة. ورفض السلطان العثماني طلبًا لعقد صلح تقدم به الشاه صفي عن طريق مبعوث خاص [2]، وقد تواصل القتال بين الطرفين أربعين يومًا، حيث أعلن القادة الصفويون الاستسلام، استوليَ على بغداد سنة (1048هـ/1638م) بعد أن حكمها الصفويون خمسة عشر عامًا [3].

ب – الحياة الاجتماعية:

أما الحياة الاجتماعية فقد أدت العمليات العسكرية الّتي رافقت الاحتلال الصفوي، والاحتلال العثماني لبغداد إلى تدهور الوضع في بغداد، وضعف الأمن والاستقرار في مطلع القرن السابع عشر، وإحداث دمار كبير فيها؛ بسبب عمليات الحصار والقصف والمجاعة، وقد قتل عدد كبير من سكانها، ونزح القسم الآخر منهم إلى مناطق أخرى أكثر أمنًا واستقرارًا[4].

وكانت هذه الحالة نتيجة لضعف الولاة، وكثرة الانتفاضات العشائرية، وتمردات الإنكشارية المستمرة، والروح العدائية الّتي سادت العلاقات العثمانية الصفوية، الأمر الذي أثر تأثيرًا مباشرًا على العراق سواء عن طريق تدمير القرى، ونهب المحاصيل، وعلى الأخص عند مناطق

([1]) ينظر: العراق في العهد العثماني الثاني، خليل علي مراد: 28.

([2]) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي: 1\69.

([3]) ينظر: دوافع الصراع العثماني الصفوي على العراق في العهد العثماني، رجاء حسين الخطاب، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد،53: 231.

([4]) ينظر: تاريخ العراق الحديث: 280.

الحدود، أم عن طريق توقف النشاط التجاري بين العراق وبلاد فارس، كذلك لعبت الضرائب الكبيرة، وجباة الضرائب دورها في هذا التدهور أيضًا، فقد ترك عدد كبير من الفلاحين قراهم ولجؤوا إلى مراكز المدن، ولجأ عدد منهم إلى الانتفاض بوجه السلطة، والامتناع عن دفع الضرائب، وتمثل هذا في الانتفاضات العشائرية بشكل خاص[1].

كانت الحكومات تتعاقب على العراق واحدة تلو الأخرى، ويذهب الباشوات والولاة، ويأتي غيرهم بين حينٍ وحين من دون أن يكون للعراقيين رأي فيهم، أو علم بما يحدث [2]، وكان الوالي الذّي يعين حاكمًا عليه يشعر في الغالب أنه جاء منفيًا إلى بلاد نائية لا رقيب فيها عليه، فيغتنم الفرصة لجمع المال بشتّى الطرق ويستغل كل ما في سلطته من قوة ونفوذ للاستفادة والثراء، وسرعان ما ينكشف أمره فيقتل أو يسجن أو ينقل. ولم يخل الأمر من ولاة قلائل عفيفين مستقيمين، كانوا يأتون إلى هذه البلاد، ويشمرون عن ساعد العمل ولكنهم سرعان ما كانوا يجدون أنفسهم خائضين في خضم متلاطم من المشاكل، والصعوبات التي تنوء بها كواهل الرجال، فمن عشائر تثور، وجند إنكشاري يعربد، وإمكانات محدودة، وكوارث طبيعية مخيفة، وما إلى ذلك، ولهذا لم يكن يتيسر الوقت ولا الفرصة لكلا النوعين من الولاة؛ لأن ينظروا في شؤون الرعية، أو يفكرون في أمور الإصلاح، وعمران البلاد[3].

([1]) ينظر: العراق في العهد العثماني الثاني، خليل علي مراد: 27.

([2]) ينظر: ينظر: أدب العراق في العهد العثماني، د. علي أحمد الزبيدي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 26:466.

([3]) ينظر: صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، د. جعفر الخياط: 13.

جـ – الحياة الأدبية:

وأما الحياة الأدبية لهذا العصر، فقد ضعفت الروح الأدبية، واقترن هذا الضعف بتوسع نفوذ اللغة التركية على حساب اللغة العربية، فقد أثر استعمال اللغة التركية على حركة نتاج الفكر العربي، فلم تعد دواوين الإنشاء والتحرير في الدولة العثمانية تستعمل اللغة العربية، بل استبدلتها باللغة التركية، وإن استعملت اللغة العربية في بعض الكتابات، فإنها لا تخلو من بعض الألفاظ التركية الّتي تشوه جمال الأسلوب العربي وذوقه، وأثر هذا الإعراض عن اللغة العربية في حركة التأليف، والإنتاج المعرفي إذ خفت وتيرته، وقلت جودته. وكان أغلب اعتماد الثقافة اللغوية، والأدبية، والدينية على المساجد إذ لم يقصر دورها على العبادة فقط [1]، بل كانت أحد الصروح الّتي أضاءت المجتمع علمًا ونورًا، والمدارس الملحقة بها وتعد من أهم الروافد الّتي تدعم حركة الفكر العربي [2]، إلا أن العثمانيين لم يولوا اهتمامًا ببناء المدارس وتشيدها في عموم البلاد العربية، بعكس استانبول الّتي كانت تنعم بنهضة علمية، وتعليمية قام بدعمها السلاطين العثمانيون [3]. أما عن حالة الشعر في العصر العثماني، فإنها لم تكن جيدة، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن السلطة السياسية والتي يمثلها الحكام والسلاطين كانت أعجمية وليست عربية، ولذلك لم يقوموا بدعم حركة الشعر ونهوضه، فضلًا عن ذلك إنهم أهملوا الشعراء، ولم يولوهم اهتمامًا، وهذا ما جعل كثيرًا من الشعراء يترك الشعر، ويمتهن بعض الحرف البسيطة من أجل كسب قوت يومهم، فلم يعد الشعر في حضرة هؤلاء الحكام الأعاجم مصدرًا للتكسب، ودفع كثيرًا من الشعراء إلى النظم في الفنون السابقة مثل الموشحات، والأزجال، والدوبيت، والمواليا وهي

([1]) ينظر: أدب العراق في العهد العثماني، د. علي أحمد الزبيدي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 26:467.

([2]) ينظر: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: 62.

([3]) ينظر: تاريخ الأدب العربي، د. عمر موسى باشا: 85.

فنون لا تلتزم بعمود الشعر المعروف لا سيما ما يتعلق بالأوزان، ومخالفة القياس الصرفي، أو اللغوي، واستعمال اللغة العامية؛ ما أدى إلى ضعف الشعر في العصر العثماني حتى إن تيار الموجة التركية العثمانية نجحت في تخريج أجيال من الأدباء، والشعراء، والمؤلفين يقرضون الشعر، ويكتبون النثر باللغة التركية الآذرية[1].

إن الحياة الأدبية في العراق تأثرت تأثيرًا كبيرًا بالحروب، والصراعات الّتي تتابعت منذ سقوط بغداد، واستمرت بعد ذلك في أثناء الصراع الصفوي العثماني فأنكمش النشاط الأدبي، والفكري بشكل عام، وبدت الألسنة والاقلام كأنها انشلت منتظرة انجلاء الجو السياسي المدلهم[2].

([1]) ينظر: أدب العراق في العهد العثماني، د. علي أحمد الزبيدي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد،484:26.

([2]) ينظر: م. ن: 469.

الفصل الأول

المــؤلف وكتــابـه

المبحث الأول

حيـــاة المـؤلـف

- **اسمه ونسبه:**

هو عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغداديّ، نزيل القاهرة، كذا رُوي اسمه ونسبه عند من أرخوا له من أصحاب التراجم [1]، وهذا يَتَّفق مع ما ذكره في خاتمة حاشيته على شرح بانت سعاد، إذ قال: ((قال ذلك وكتبه بيده الفانية الفقير إلى ربّه وإلى شفاعة حبيبه عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي لَطَف اللّه به وبأَسلافه...)) [2].

- **مولده ونشأته:**

ولد البغداديّ في بغداد عام ثلاثين وألف للهجرة (1030هـ)، فنُسِبَ إليها [3]، وبها نشأ وتأدّب، وتعَلّم اللغة الفارسيّة والتركيّة وكذلك العربية وكان بارعًا فيها، وعرف الأشعار الحسنة منها، وأخبار الفرس [4]. ونشأ في المدَّة التي نشبت فيها الحروب بين الدولتين الصّفويّة والعثمانيّة، في بغداد وما جاورها، وهي مدّة لم تعد صالحة للاستقرار وطلب العلم، لكن البغداديّ قضى فيها مدة من شبابه، وتعلّم فيها العديد من العلوم على يد علماء بغداد [5].

([1]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\454، والأعلام: 4\41، وهدية العارفين: 1\602، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، اسماعيل باشا:1\429، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس: 571_ 572، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: 2\192، والأدب المصري في ظل الحكم العثماني، لمحمّد سيد كيلاني: 282، وتاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان: 3\310.

([2]) حاشيته على شرح بانت سعاد: 2\109.

([3]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\451.

([4]) ينظر: م. ن: 2\452.

([5]) ينظر: مقدمة شرح شواهد شرح التحفة الوردية: 11.

- **رحلاته:**

حرص البغداديّ على التّعلّم، ورغبته في الأخذ عن مشايخ البلدان كانا الدّافع له إلى التنقل والترحال، وكذلك الأسبّاب السياسية المحيطة به، ويمكننا أن نقسم رحلات البغداديّ على قسمين:

أ- رحلاته قبل مباشرته بالتأليف:

1- رحلته الأولـــى إلـــى دمشـق:

رحل في بواكير شبابه من موطنه، ومحلَّ ولادته بغداد إلى دمشق سنة (1048هـ/1638م)، يطلب العلم فيها [1]، بعيدًا عن القلاقل والفتن؛ بسبب الحروب التي نشبت بين العثمانيّين والصّفويّين في بغداد. ولمَّا نزل دمشق اتصل بنقيب الأشراف فيها السيد محمد بن كمال الدّين الحسيني آل حمزة (ت1080هـ/1669م) [2]، فعطف عليه وأكرمه وخصّص له منزلًا قبالة داره في الحي المعروف بزقاق النّقيب، ومكث في جواره سنة كاملة، وكان الشيخ محمد بن كمال الحسيني أوّلَ أستاذ له في دمشق، وعنده تبلورتْ حياتهُ العلميّةُ، حيث أخذت منحًى جديدًا يتمثَّل في مجالسة العلماء، وتلقّي العلوم من الشّيُوخ الفحول، ثمّ جلس في حلقة ابن يحيى الفرضيّ (1090هـ/1679م)، أحد أشهر شيوخ الشّام آنذاك، حيثُ توسّعت معرفته بالعربيّة عنده[3].

([1]) ينظر: خلاصة الأثر: 452/2

([2]) ينظر: م. ن:453/2.

([3]) ينظر: عبد القادر البغدادي مؤلف خزانة الأدب الكبرى، محب الدين الخطيب، مجلة الزهراء، 1928، العدد الرابع: 211/5.

2- رحلته إلى مصر:

كانت ثاني رحلاته إلى القاهرة سنة (1050هـ/1640م)، أيّ أنّه كان في العشرين من عمره وهي سنُّ الوعي والنّشاطِ العلميّ [1] رغبة في الاستقرار وطلب العلم على يد علماء الأزهر ومشايخه، وهناك توسّعت مداركه، وتفتحت أكمامُ معرفته، فأخذ العلوم الشّرعيّة وآلاتها النّقليّة والعقليّة عن جمع من مشايخ الأزهر، وقد أمضى البغداديّ في مصر أنضج سنَّي حياته وأخصبها [2].

ب - رحلاته بعدما بدأ بكتابة مؤلّفاته:

1- رحلته الأولى إلى بلاد الرّوم:

سافر عبد القادر البغداديّ إلى إستانبول في الثّامن عشر من ذي القعدة سنة (1077هـ/1666م)، عاصمةُ الخلافة العثمانيُة [3]، وكانت هذه رحلته الأولى إليها، أثناء وضعه كتابه (خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب)، وقد بلغ فيها إلى الشّاهد التّاسع والسّتّين بعد السّتّمائة (669)، كما ذكر ذلك في خاتمة (خزانة الأدب)، ويبدو أَنّه لم تطب له الإقامة في تلك البلاد، فقد أقام في إستانبول عاصمة الخلافة العثمانية أربعة أشهر، ثم عاد إلى مصر في اليوم السّابع من ربيع الأوّل سنة (1078هـ/1667م)،[4] وبعد عودة البغداديّ إلى مصر اتّصل بوالي

([1]) ينظر: م. ن: 5\213

([2]) ينظر: خلاصة الأثر:2\452.

([3]) ينظر: عبد القادر البغدادي مؤلف خزانة الأدب الكبرى، محب الدين الخطيب، مجلة الزهراء،1928، العدد الرابع: 5\213.

([4]) ينظر: حاشيته على شرح بانت سعاد: 1\16.

مصر إبراهيم باشا، فاتخذهُ الوالي نديمًا له، ووقع عنده الموقع التّامّ، وما زال كذلك إلى السّنة الّتي عزل فيها إبراهيم باشا عن ولاية مصر، وهي سنة (1085هـ/1674م).

2- رحلته الثّانية إلى بلاد الرّوم:

سافر من مصر إلى أدرنة مرّة أخرى في صحبة الوزير المعزول إبراهيم باشا سنة (1085هـ/1674م) [1]، وبقي فيها سنتين، وعاد إلى مصر سنة (1087هـ/1676م)، وقد صرَّح بذلك بخط يده، إذ يقول: ((وفي السّفر كان ولدي أحمد بصحبتي، سهَّل الله رجوعنا إلى وطننا معه آمين. واستجزنا الوزير الأعظم في العود إلى مصر فأجازنا في السّابع والعشرين من ربيع الأوّل وخرجنا من أدرنة في الثّامن والعشرين من ربيع الآخر، ودخلنا إستانبول في ثاني جمادى الأولى وخرجنا منها إلى مصر في الثامن عشر من جمادى الآخرة، سهَّل الله الطريق وجمع شملنا بأهلنا وأحبابنا، آمين، ودخلنا قونية في اليوم الرابع من رجب ودخلنا مصر في الثّامن والعشرين من شعبان سنة 1087هـ ولله الحمد))[2].

3- رحلته الأخيرة إلى بلاد الرّوم:

وفي يوم الخميس الثّاني عشر من شهر رجب سنة (1091هـ/1680م)، كانت رحلته إلى القسطنطينيّة وهي آخر رحلة له، ولم يذكر أنّه كان بصحبة أحد، وقد صرّح بذلك في شرح أبيات مغنّي اللّبيب: ((فشرعت في تكميل شرح الأبيات في غرّة ربيع الأوّل من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف، وشُرِحَت في وقت العصر من يوم الجمعة السّادس من شهر رجب من السّنة المذكورة، ولكن قد استعجلنا في أواخر هذا الشّرح لتصميم العزم إلى القسطنطينية

([1]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\453.

([2]) حاشيته على شرح بانت سعاد:1\7 .

لأمر عرض، فتمّ قبل السّفر بخمسة أيّام))[1]، ومنها عاد إلى مصر من طريق البحر؛ بسبب مرضه [2].

- **شيوخه وثقافته:**

لم تذكر مصادر ترجمة البغداديّ شيئًا عن شيوخه في بغداد، وحلقات العلم الّتي نهل منها في صباه، وبدءِ حياته العلميّة [3]، وذكر مترجمو البغداديّ أنّه أخذ عن شيوخ عدّة في دمشق، ومصر في مختلف العلوم كالفقه، والقراءات، والتّفسير، والحديث، والنّحو، والصّرف، واللّغة، والأخبار.

أ- شيوخه في دمشق:

مع قصر إقامته في دمشق، كان له شيوخ عدة أخذ عنهم، وهم:

1- ابن حمزة الحسيني النقيب:

هو السّيّد محمّد بن كمال الدّين بن محمد بن حسين بن محمّد بن حمزة الحسيني الملقّب بنقيب الشّام، ولد سنة (1024هـ/1615م) بدمشق في أسرةٍ لها مكانة عظيمة هناك وتلقّى العلوم عن أبيه، وأساتذة عصره، وقرأ الحديث خصوصًا والفقه على المذهب الحنفي[4].

وسافر إلى القسطنطينيّة صحبة والده سنة (1040هـ/1630م)، وتلقى دروسًا هناك أيضا[5]. تولّى النّيابة الكبرى بدمشق ودرّس، ثم خلّف والده في نقابة الأشراف هناك. ألّف

([1]) شرح أبيات مغني اللبيب: 8\128.

([2]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\453.

([3]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\124، الأعلام: 4\41، هدية العارفين: 1\602.

([4]) ينظر: خلاصة الأثر:4\124.

([5]) ينظر: شرح شواهد شرح التحفة الوردية: 17.

التّأليف الحسان المقبولة، من ذلك حاشية على شرح الخلاصة لابن النّاظم، وتوفي سنة (1080هـ/1669م)[1].

2- نجم الدّين الفرضي:

هو محمّد بن يحيى بن تقي الدّين بن عباد، بن هبة الله الحلبي الدّمشقي الشّافعي الفرضي الملقّب نجم الدّين نحوي أصله من حلب، وولد بدمشق، وتوفّي سنة (1060هـ/1650م)[2]، كان لا يجارى في العربيّة، وكان له الفضل في الحديث والفقه، وله الفوائد السّنيّة في إعراب أمثلة الأجروميّة في النّحو[3]، يقول المحبّي (ت1111هـ/1699م) فيه: ((هو في علوم العربية فارس ميدانها والمجلّي يوم رهانها لم يكن أحدًا مثله فيها له الاطلاع التّام على قوّادمها وخوافيها وله في الحديث والفقه فضل لا يردّ))[4] .

3- ياسين الحمصي:

هو ياسين بن زين الدّين بن أبي بكر بن محمّد بن الشّيخ عُلَيم الحمصي الشّافعي ويُعرَف بالعليميّ [5]، ولد في حمص، وانتقل بعد ذلك في صغره إلى مصر بصحبة أبيه، فنشأ في القاهرة، وتلقّى العلم هناك، تعمَّق ياسين الحمصي في دراسة النحو وعلوم اللغة، حتى صار شيخ عصره في علوم اللغة العربيّة [6]، استفاد منه البغداديّ في علوم العربيّة كثيرًا، ألف الحمصي كتبًا عديدة منها حاشية على المطوّل وحاشية على شرح القطر للفاكهيّ، وحاشية

([1]) ينظر: خلاصة الأثر: 4\264.

([2]) ينظر: خزانة الأدب:1\17.

([3]) ينظر: معجم المؤلفين: 12\101.

([4]) خلاصة الأثر: 4\265.

([5]) ينظر: خلاصة الأثر: 4\492.

([6]) ينظر: الأعلام:8\130.

الشيخ ياسين الحمصي على شرح قطر الندى، وحاشية على شرح ألفيّة ابن مالك، وغير ذلك من الرّسائل النّافعة. توفي ياسين الحمصي في القاهرة سنة (1061هـ/1651م)[1].

ب- شيوخه في القاهرة:

وعندما انتقل البغداديّ إلى القاهرة، أقبل على العلم بشغف ورغبة جادة، فوجد ما يروي ظمأه، ويشبع رغبته على يد مجموعة من علماء مصر، ومنهم:

1- سري الدّين الدروري:

هو محمّد بن إبراهيم الملقّب بسري الدّين الدروري المصريّ الحنفيّ المعروف بابن الصّائغ، كان والده من كبار التجّار خلّف له أموالًا كثيرة [2]، ثمّ اشتغل بقراءة العلوم، فقرأ عن أبي بكر الشنواني، ثمّ لزم المولى حسين المعروف بباشا زاده نزيل مصر، واختصّ به وبه تفوق، وكان يعرف اللّغة الفارسيّة والتركيّة، ألف حاشية على شرح الهداية، وحاشية على شرح المفتاح الشّريف، وحاشية البيضاويّ، ورسالة في المشاكلة، وكلّها ممتعة نفيسة جارية على الدقّة، والنّظم الصّحيح، وكانت وفاته سنة (1066هـ/1656م) [3].

2- شهاب الدّين الخفاجي:

هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدّين الخفاجي المصريّ، ولد في سريا قوس قرب القاهرة [4]، وتعلّم على يد الشّنواني المتوفّى سنة (1019هـ/1610م) ثمّ رحل مع أبيه إلى الحرمين ثمّ إلى الأستانة، وتعين قاضٍ على الروملي ثمّ في سلانيك، وعينه السلطان مراد قاضيًا للعسكر بمصر. ثمّ استقال وسافر إلى دمشق ثمّ حلب ثمّ الأستانة. وعاد قاضيًا على القاهرة. كان أديبًا

([1]) ينظر: خلاصة الأثر:2\452، وهدية العارفين 2\512.

([2]) ينظر: الأعلام: 5\304.

([3]) ينظر: خلاصة الأثر:3\316.

([4]) ينظر: م. ن: 1\331.

لغويًّا، وهو أكثر من لازمه البغداديّ من علماء مصر، وقرأ عنه كثيرًا من التّفسير والحديث والآداب، وأجازه بذلك كلّه وبمؤلّفاته، ومن آثاره: شرح درّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريريّ، وريحانة الألبا وزهرة الحياة الدّنيا، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، وديوان العرب في ذكر شعراء العرب وطراز المجالس وغيرها [1].

3- إبراهيم الميموني:

هو الشّيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى المصريّ الشّافعي، أبو إسحاق، برهان الدّين الميموني الإمام العلّامة في علوم التّفسير والحديث وعلوم البلاغة [2]. ولد في مصر سنة (991هـ/1583م)، وتوفي فيها سنة (1079هـ/1668م)، له تصانيف كثيرة منها حاشية على تفسير البيضاويّ، وحاشية على المواهب اللّدنيّة، وحاشية على المختصر [3].

4- نور الدّين الشّبراملسي:

هو علي بن علي، أبو الضّياء، نور الدّين الشّبراملسي الشّافعي القاهريّ. وهو من أهل شبراملس، إحدى قرى مصر، ولد سنة (997هـ/1588م)، [4] وأصابه الجدريُّ وهو ابن ثلاث سنين فكُفّ بصره، ثمّ قدّم مصر بصحبة والده سنة (1008هـ/1599م)، وحفظ الشّاطبية والخلاصة والبهجة الورديّة، والمنهاج ونظّم التحرير للعمريطي وغير ذلك، وتصدّر للإقراء بجامع الأزهر، فانفرد في عصره بجميع العلوم. ألّف كتبًا كثيرة منها: حاشية على المحتاج في

([1]) ينظر: الأدب المصري في ظل الحكم العثماني: 276، وتاريخ آداب اللغة العربية: 3\309.

([2]) ينظر: خلاصة الأثر: 1\46.

([3]) ينظر: الأعلام: 1\67.

([4]) خلاصة الأثر: 3\174، ومعجم المطبوعات: 1097.

الفقه الشّافعي، حاشية على شرح الشّمائل، وحاشية على شرح المقدّمة الجزرية في التّجويد، وغيرها، وتوفي في مصر سنة (1079هـ/1668م)[1].

- **تلاميذه:**

لم تأتِ مصادر ترجمة البغداديّ–وهي شحيحة– على ذكر تلاميذه أو تصدره للتدريس، أو نحو ذلك، ولعلَّ ظروفًا معينة حالت بينه وبين الجلوس للتّدريس [2]، فقد عاش ثلاثًا وستّين سنة حافلة بطلب العلم والتّحصيل، والتّأليف، وإنّ عالمًا مثله حريٌّ أنْ يُقبل عليه طلبة العلم، فهو صاحب مدرسة في البحث والتّحقيق، وموسوعة في النّحو والتّصريف وأيّام العرب وأعلامها وآدابها، لكنّ الّذين أرخوا للبغداديّ، وعاصروه كمحمّد أمين بن فضل الله المحبي (1111هـ) [3] لم يذكروا شيئًا عن تلامذته [4].

وكذلك قد يكون عدم استقراره، وكثرة تنقلاته بين القاهرة والقسطنطينيّة، واتّصاله بالوزراء، والولاة شغله عن الجلوس للتّدريس في الأزهر، حيث مقصد طلبة العلم[5].

- **مكانته العلمية:**

([1]) ينظر: خلاصة الأثر: 3\176.

([2]) ينظر: م . ن : 2\454.

([3]) محمد أمين بن فضل الله بن محب الله ابن محمد المحبي، الحموي الأصل، الدمشقي، وهو مؤرخ وباحث وأديب، عني كثيرًا بتراجم أهل عصره، فصنف خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في أربعة مجلدات ونفحة الريحانة، وله ديوان شعر، وولي القضاء في القاهرة، وعاد إلى دمشق فتوفي فيها سنة (1111هـ)، ينظر: الأعلام: 6\41.

([4]) ينظر: شرح شواهد شرح التحفة الوردية:18.

([5]) ينظر: عبد القادر البغدادي مؤلف خزانة الأدب الكبرى، محب الدين الخطيب، مجلة الزهراء، 1928، العدد الرابع: 5\214.

كان البغداديّ مولعًا بالعلم، شغوفًا في طلبه وقد اتّجه اتّجاهًا أدبيًا، فعنّي من أوّل الأمر بحفظ كثير من الأشعار الجاهليّة والإسلاميّة[1]، بحيث استطاع أن يتمكّن من ناصية الأدب، وأنْ يبدع فيه، يقول المحبّي فيه: ((وكان فاضلًا بارعًا مطّلعًا على أقسام كلام العرب النّظم والنّثر راويا لوقائعها وحروبها وأيّامها وكان يحفظ مقامات الحريري وكثيرًا من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم وهو أحسن المتأخّرين معرفة باللّغة والأشعار والحكايات البديعيّة مع التثبّت في النّقل وزيادة الفضل والانتقاد الحسن))[2].

وآثار البغداديّ شاهدة على علمه وفضله وسعة اطّلاعه، وغزارة مادّته، وتضلعه من كلام العرب ووقائعها، وتقصّي أقوال العلماء، وتمحيصها والتّعليق عليها، والصّبر على تحقيق المسائل، إذ كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب، وتملك أكثر كتب شيخه شهاب الدّين [3].

وهذا الاهتمام من البغداديّ بجمع الكتب، ونخل ما فيها من علم وأدب، وتضمين ذلك مؤلّفاته، أفاد المكتبة العربيّة، فحفظ كثيرًا من أقوال العلماء، وأسماء مصنّفاتهم الّتي لا تزال مخطوطة أو مفقودة [4].

وقد عرف فضله أشياخه، فكان شيخه الشّهاب مع جلاله علمه يراجعه في المسائل الغريبة، لمعرفته بمظانّها وسعه اطّلاعه، وطول باعه[5].

([1]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\453.

([2]) م. ن: 2\451.

([3]) ينظر: شرح شواهد شرح التحفة الوردية: 26.

([4]) ينظر: م. ن: 27.

([5]) ينظر: خلاصة الأثر: 2\454.

وعرف فضله الولاة فقرّبوه منهم، وجعلوه من ندمائهم وخواصّهم، فقد نال حظوة عند والي مصر إبراهيم باشا، وأَحلّ عنده محلًّا رفيعًا، حتّى إن البغداديّ رافقه إلى بلاد الروم بعد عزله من مصر [1].

وفي أدرنة عَرَفَ البغداديّ الوزير أحمد باشا الكوبريلي (ت1087هـ/1676م)[2]، وكان من رجال العلم يُقدّر ويجلّ العلماء ويقرّبهم، فأحلّ البغداديّ محلًّا كريمًا، وجعله من خواصّه، وهناك عرف منزلته السلطان العثمانيّ محمّد الرّابع فكرّمه، وجعل البغداديّ كتابه خزانة الأدب باسمه[3].

- **آثاره العلمية:**

بعد أن كرّس البغداديّ حياته طمعًا في العلم والمعرفة، شقّ له طريقًا في التّأليف، فترك مجموعة من المصنّفات الّتي كان لها شأن كبير في تاريخ آداب العربيّة، بين رسالة صغيرة، وكتاب مطوّل تناول فيها: النّحو والصّرف واللّغة والقراءات والآداب وتراجم الرّجال، وقد قام الأساتذة الفضلاء الذين حقّقوا كتبه، أو الذين أفردوه بالدّراسة بحصر أسماء كتبه المطبوعة، نذكر منها:

1- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، طبع طبعات عدّة، أولها سنة 1299هـ، في مطبعة بولاق في أربعة مجلدات، وطبع في القاهرة، تحقيق وشرح: الدكتور عبد السلام هارون، 1979.

([1]) ينظر: شرح شواهد شرح التحفة الوردية: 26.

([2]) أحمد كوبريلي ابن الصدر الأعظم محمد كوبريلي خلف والده في منصبه بعد وفاته، وكان أصغر من تولى منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، ولد سنة 1045هـ\1635م، في إستانبول، توفي سنة (1087هـ)، ينظر: خلاصة الأثر: 1\353.

([3]) ينظر: خزانة الأدب: 1\4.

2- شرح أبيات مغني اللبيب لابن هشام، طبع في دمشق، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الّدقاق، نشر دار المأمون للتراث، 1988.

3- شرح شواهد التحفة الوردية في النحو لابن الوردي، طبع في المملكة العربية السعودية، بتحقيق: الدكتور عبد الله علي الشلال، مكتبة الرشيد، 2001.

4- شرح الشواهد الشعرية الواردة في شرح الرضي على شافية ابن حاجب، طبع في القاهرة، 1982.

5- حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري النحوي، طبع في بيروت، تحقيق: نظيف محرّم خواجه، في مطابع دار صادر، سنة 1980.

6- رسالة في التلميذ، طبعت مع عدة رسائل في مصر، تحقيق: الدكتور عبد السلام هارون، سنة 1972.

7- لغة شاهنامة باللغة التركية، شرح فيه باللغة التركية غريب الألفاظ الفارسية في كتاب شاهنامة الذي ألفه أبو القاسم الفردوسي (ت411هـ)، طبع في بطرسيرغ، سنة 1895.

8- تراجم الأدباء، طبع في عمان، دار اليراع للنشر، تحقيق: الدكتور مزاحم علي عشيش البعاج، والدكتور مالك علي عشيش البعاج، 2006.

- **وفـاتـه:**

هجمت على البغداديّ علَّة قاسى منها آلامًا شديدة في إقامته في أدرنة، فقد أصيب هناك برمد شديد آخر أيّام حياته، قال البغداديّ بعد شرح آخر أبيات مغني اللّبيب: ((وقد منّ الله علينا في أن وفّقنا لشرح أبياته من الأوّل إلى الآخر بعد أن كاد يذهب البصر برمد شديد فإنّني لما وصلت إلى الإنشاد الثّالث والأربعين بعد الستّمائة حدث لي شقيقة رمدت بها عيني اليمنى

وانطبقت معها اليسرى وذلك في اليوم الرّابع من ذي الحجّة ختام سنة سبع وثمانين وألّف فرمدت عينيّ بنزلة حادّة مدة ثلاثين يومًا...))[1].

وعجّل بعودته إلى مصر، ولم تطل بمصر عودته حتى توفّي، قال المحبي في خلاصة الأثر: ((ولم يبق طبيب حتّى باشر معالجته وكان أمره في نيل أمانيه مأخوذا على التراخي فعاجله الملال والسّآمة وضاق به الأمر فذهب إلى مصر مرة ثانية وأنا بالروم فابتلى برمد في عينيه حتى قارب أن يكف فسافر من طريق البحر إلى مصر فوصّلها ولم تطل مدّته بها حتّى توفّي في أحد الرّبيعين من سنة 1093هـ رحمه الله تعالى...))[2].

(1) شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي: 8\128.

(2) خلاصة الأثر: 2\456.

المبحث الثاني
منهجـه فــي تـراجــم الأدبــاء

إنّ كل من يؤلّف كتابًا في التّراجم، لمجموعةٍ من العلماءِ أو الأدباءِ، لا يجد((بدءًا يجمع العناصر الّتي تعرّف بهم، فيورد ذكر أسمائهم وكنّاهم وألقابهم وأنسابهم، وسنّيّ ولادتهم ووفياتهم، وأماكن نشأتهم وأوصافهم الخَلقيّة والخُلقيّة، ويصف مستحسن أشعارهم ومستقبحها، وإن كان منهم من تولّى منصبًا أو اشتهر بعلم أو فنّ فيذكره ويذكر مكانته، وكذلك له علاقة بالجوانب الثّقافيّة والتّاريخيّة العامّة لعصره، وحريّ بالذّكر أنّ هذه العناصر فيها ما هو ملازم كالاسم وغيره، وفيها ما يستحسن ذكره عند الاستطاعة))[1].

وعلى هذا الأساس سوف نقوم بدراسة المنهج الذي اتّبعه عبد القادر البغداديّ في عمليّة التّرجمة للأدباء الّذين ترجم لهم في كتابه (تراجم الأدباء)، محاولين إبراز المدى الذي وفّق فيه وكما يأتي:

أولًا – اختيار التراجم:

إن عملية اختيار الأعلام للترجمة لهم ليست بعملية سهلة، إنما هي اختيار تابع لذوق المؤلف وميوله، إذ إنّ علمية الرصد وآليات التتبع، وموضوعية الاستنباط، كفيلة في إفراز أنماط خاصة من ألوان الكتابة، لها حيثياتها وقوالبها، تكوّن في نهاية المطاف إستراتيجية متميزة.

([1]) منهج ابن الشعار الموصلي (ت654هـ)في كتابه قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، منى شفيق توفيق، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية: 26.

ومن البديهي أنّ هاجس الوعي ونوازع الانطباع كان لها وجود فاعل في نهج البغداديّ وهو يؤلّف كتابه (تراجم الأدباء)، فلم يقتصر البغداديّ في اختيار نماذجه وعيّناته على عصر معين، بل تنوعت اختياراته من عصور مختلفة.

وقد صرح بذلك محقق كتاب (تراجم الأدباء)، بقوله: ((وقد وصل عدد الأعلام إلى أكثر من مائتين وخمسين علمًا(*)، كان من بينهم بعض الصحابة والأدباء والفقهاء، ومن عصور مختلفة...))[1].

ولم يحدد البغداديّ مدّة زمنية معينة، أي أنّه لم يضع شرطًا في كتابه أنْ يكون قد عاصر الشاعر أو العالم حتّى يترجم له، ولا حتّى أن يكون قريبًا من عصره، فلم يذكر أحدًا قريبًا من عصره سوّى السيد عبد الرحيم العباسي المتوفى سنة (963هـ) ، وقد يكون السبب في اختياره كون هذا العالم من مصر، وذهب إلى مدينة القسطنطينية، وظل يتنقل بينهما مثل البغداديّ إذ يقول في ترجمته: ((ولد بمصر وقرأ على علمائها، وحصّل العلوم الأدبية، وعلى البلاغة والحديث والتفسير. وأخذ من علماء الحديث هناك، وحصل سندًا عاليًا وأتى مدينة القسطنطينية في زمن السلطان بايزيد خان))[2].

ولم يختص البغداديّ في اختياراته على مدينة معينة، فشملت اختياراته أعلامًا من المشرق العربي، والمغرب العربي، وأمصار إسلامية أخرى [3].

([1]) مقدمة كتاب تراجم الأدباء:7.

(*) خطأ والصواب مائة وتسعة وأربعين علمًا.

([2]) تراجم الأدباء: 14.

([3]) ينظر: تراجم الأدباء: 22،23،40،33،56،66،100.

وترى الباحثة أنّ ليس للكتاب منهج واضح في اختيار التراجم، فهو خاضع إلى ذوق المؤلف في انتقاء الشّخصيات المترجم لها، فضلًا عن ذلك أنّ معظم الشخصيات الّتي ترجم لها تنتمي إلى العصر العباسي.

ثانيًا – ترتيب التراجم:

حمل كتاب عبد القادر البغداديّ عنوان "تراجم الأدباء"، وعند تصفّح الكتاب لم نجد ذكرًا للطّريقة التي سلكها في ترتيب تراجمه، كعادة مؤرّخي التراجم، فلم يراعِ ترتيبًا معينًا، فالكتاب غير مرتّب على الحروف ولا على الوفيات، ولا على الترتيب الزمني، ولم يحتوِ الكتاب على مقدمة للمؤلف يوضح بها سبب تأليفه للكتاب، ولا منهجه في الاختيار، ولا سبب اختيار هؤلاء الأعلام دون غيرهم، ولا طريقته الّتي اعتمدها في ترتيبه للتراجم.

وقد ذكر الواحد تلو الآخر دون ترتيب معين، اعتمادًا على ذوقه، إذ يأتي بالعباسي ثمّ المتأخّر ثمّ الأموي[1]، وهذا دليل على أنّه كان ذوّاقًا في نماذجه المختارة، يستذوق أديبًا دون آخر.

ثالثًا – ذكر الأسماء والكنى والألقاب:

ترجم في كتابه "تراجم الأدباء" لمائةٍ وتسعة وأربعين علمًا، بين عالم، وفقيه، وشاعر، وأديب، وأمير، وحتّى ملوك، من أقطار إسلاميّة متنوّعة، فبدت عناية البغداديّ واضحة بذكر أسماء من ترجم لهم، وآبائهم وأجدادهم، من دون الإطالة في التّعريف بهم في معظم تراجمه، ونجد أنّه حفظ الأسماء مّا قد يلحقها من تصحيف وذلك بضبطها وتقييدها؛ ليمنع وقوع الخطأ في القراءة أو الوهم أو التّغيير، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة الرِيَاشي (ت257هـ): ((والرِيَاشي

(1) ينظر: تراجم الأدباء: 91،96،99.

بكسر الراء، وفتح الياء المثناة من تحتها، وبعد الألف شين معجمة، وهذه النسبة إلى رِيَاش))[1]، وقوله في ترجمة البَبَّغاء (ت398هـ): ((والبَبَّغاء بفتح الباء الأولى، وتشديد الباء الثانية، وفتح العين المعجمة بعد ألف...))[2]، وقوله في ترجمة ابن الفارض (ت632هـ): ((والفارض بفتح الفاء، بعد الألف راء مكسورة، وبعدها ضاد معجمة))[3] وقوله في ترجمة جَحْظَة البرمكي (ت336هـ): ((وجَحْظَة بفتح الجيم، وسكون الحاء المهملة، وفتح الظاء المعجمة وبعدها هاء ((([4]، وقوله في ترجمة الزَاهِي (ت352هـ): ((والزاهي بفتح الزاي، وكسر الهاء بعد الألف))[5].

وعلى الرغم من عنايته الفائقة بالأسماء غير أنّه لم يذكر ستة أسماء من أعلامه الّذين ترجم لهم، ولم يذكر سبب عدم ذكرها، وقد يرجع السبب إلى نسيان المؤلف، أو عدم إمكانيّة الحصول عليها من مصادره التي اعتمد عليها، أو أنّهم عرفوا بهذه الألقاب عند أقرانهم فلم يذكر الأسماء، ومنها على سبيل المثال، ترجمة ((تاج الدين الكندي))[6]، و((الخليل)) [7]، و((ابن المعلم))[8]، و((ابن الخشاب)) [9].

([1]) م. ن: 27.

([2]) م. ن:180.

([3]) م. ن: 299.

([4]) م. ن: 83.

([5]) م. ن: 175.

([6]) م. ن: 25.

([7]) م. ن: 96.

([8]) م. ن: 171.

([9]) م. ن: 305.

ولم تكن عنايته بالكنى أقلّ من عنايته بالأسماء، فنادرًا ما نجد له ترجمة خالية من كنية المترجم له، وكان يذكر الكنى ثمّ الأسماء في أغلب تراجمه، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة الأحنف بن قيس(ت67هـ): ((أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي المعروف بالأحنف)) [1]، وقوله في ترجمة عبيد الله بن طاهر(ت355هـ): ((أبو أحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب))[2]، وقوله في ترجمة يزيد بن مزيد(ت195هـ): ((أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة)) [3]، وقوله في ترجمة البهاء زهير (ت656هـ): ((أبو الفضل زهير زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن)) [4]، ولعلَّ سبب ذلك يعود لكونهم عرفوا بين أقرانهم من الأدباء بكناهم، على أساس أنّ الكنية ((أن الكنى ليست هي ببساطة مجرّد أسماء أساسها الابن الأكبر للشّخص بل هي أشكال من المخاطبة للتشريف والشهرة)) [5].

وقد يذكر أكثر من كنية لصاحب الترجمة، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة حماد عجرد(ت161هـ): ((هو أبو عمرو، وقيل أبو يحيى حماد بن عجرد بن يونس بن كليب الكوفي))[6]، وقوله في ترجمة هبنقه: ((وهو لقب أبو الودعات يزيد بن ثروان القبيسي، وقيل كنيته أبو نافع))[7].

([1]) م. ن: 32.

([2]) م. ن: 244.

([3]) م. ن: 314.

([4]) م. ن: 368.

([5]) بناء النص التراثي، د. فدوى مالطي: 196–195

([6]) تراجم الأدباء: 103.

([7]) م. ن: 113.

وعلى الرغم من عنايته الظّاهرة بالكنى غير أنّه أهمل ذكر الكنى أو الإشارة إليها في تسع تراجم، منها على سبيل المثال ترجمة ((الملك أحمد بن مروان الكردي)) [1]، وترجمة ((مجير الدين بن تميم)) [2]، وترجمة ((الشاب الظريف)) [3]، وترجمة ((عبد الحميد)) [4]، وترجمة ((الصلاح الصفدي))[5].

أما الألقاب فكان لها شأن كبير عندهُ، فلم تخلُ ترجمة من لقب معيّن إلّا ما ندر، وكانت ألقاب التراجم تختلف من شخصية إلى أخرى، فمنهم من لقب نسبة إلى المدينة، أو البلد الذي ولد أو نشأ فيه، أو أقام فيه، سواء كان ذلك الموقع قرية أم مدينة، وقد بلغ عدد التراجم الذين لقّبوا نسبةً إلى ذلك سبع تراجم، وهم كل من ((الصّوري)) [6]، و((ابن الأنباري)) [7]، و((الزاهي)) [8]، و((التّلّعفري)) [9]، و((أبوعلي الفارسي))[10]، و((القطب الشيرازي)) [11]، و((المنازي)) [12].

([1]) م. ن: 60.

([2]) م. ن: 323.

([3]) م. ن: 258.

([4]) م. ن: 190.

([5]) م. ن: 202.

([6]) م. ن: 343.

([7]) م. ن: 266.

([8]) م. ن: 173.

([9]) م. ن: 144.

([10]) م. ن: 123.

([11]) م. ن: 91.

([12]) م. ن: 58.

ومنهم من عُرفوا بألقاب نسبةً إلى أجدادهم المعروفين، أو قبائلهم المشهورة، وقد بلغ عددهم اثنين وعشرين علمًا، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة ابن قتيبة (ت276هـ): ((أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)) [1]، وقوله في ترجمة ابن عُنَين (ت630هـ): ((أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن عُنَين الأنصاري)) [2]، وقوله في ترجمة ابن خفاجة (ت533هـ): ((أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي)) [3]

وتجدر الإشارة أنّ بعض الأعلام قد لُقبَّ بأكثر من لقّب، ومنهم المعافى بن زكريا (ت390هـ) ((المعافى بن زكريا بن يحيى النهرواني الجّريري، فتح الجيم نسبة إلى الإمام محمد بن جرير الطبري...ويعرف بإطرارة)) [4].

استنادًا إلى ما سبق يمكن القول: إنّ عناية المؤلف بالأسماء والكنى والألقاب، كانت واضحة إلى حدٍّ كبير، فقد كان ملزمًا بذكرها في أغلب تراجمه، كوّنها من الأمور التي لا بد من الالتزام بذكرها، ما دام بمقدور المؤلّف الوقوف عليها، وهو بهذا يترسم خطى السّابقين، ولكن بصيغة جديدة تتلاءم مع البيئة، وطبيعة العصر الذي عاش فيه.

([1]) م. ن: 17.

([2]) م. ن: 377.

([3]) م. ن: 213.

([4]) م. ن: 150.

رابعًا – ذكر شيء عن سيرتهم وصفاتهم:

ذكر البغداديّ في معظم تراجمه، أسماء الشيوخ الذين تلقّى المترجم له منهم العلم، كما ذكر تلاميذ المترجم له، ويذكر في بعض الأحيان بعض المؤلّفات للشّخصيّات الّتي ترجم لها، ويذكر في بعض التراجم الأماكن التي ذهب إليها المترجم له في طلب العلم، ومن أمثلة ذلك، ما أشار إليه في ترجمة أبي بكر الصولي (ت335هـ) ((روى عن أبي داود السجستاني، وأبي العباس ثعلب، وأبي العباس المبرد، وغيرهم. وروى عنه أبو الحسن الدارقطني الحافظ، وأبو عبيد الله المرزباني، وغيرهما)) [1]، وقوله في ترجمة أبي عبيدة (ت211هـ):((صنف المجاز في القرآن، والأمثال، وغريب الحديث، المثالب، أيام العرب، معاني القرآن، طبقات الفرسان، نقائض جرير والفرزدق، الخيل، الأبل، السيف، اللغات، المصادر، خلق الأنسان...)) [2]، وقوله في ترجمة الصفي الحلي (ت750هـ): ((ونظم الشعر وله سبع سنين فلما بلغ الحلم اشتغل بالعربية والأدب ثم بلغ الرياسة ورحل إلى البلاد ودخل القاهرة))[3]، وقوله في ترجمة صاعد اللغوي (ت417هـ): ((روي بالمشرق عن أبي سعيد السيرافي، وابن علي الفارسي، وأبي سلمان الخطابي. ودخل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم، وولاية المنصور بن أبي عامر...ودخل بغداد وكان عالمًا باللغة والأدب))[4].

أو قد يذكر المهن والمناصب، ومن ذلك قوله في ترجمة الزبير بن بكار (ت256هـ): ((تولى القضاء بمكة حرسها الله تعالى)) [5]، وقوله في ترجمة خالد القسري (ت126هـ):

([1]) م. ن: 37.

([2]) م. ن: 115.

([3]) م. ن: 230.

([4]) م. ن: 43.

([5]) م. ن: 227.

((وكان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، وولي قبل ذلك مكة)) [1]، وقوله في ترجمة ابن زبَادَة (ت594هـ): ((هبة الله بن علي الشيباني الكاتب المنشي الواسطي الأصل، البغداديّ المولد والدار والوفاة)) [2]، وقوله في ترجمة المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية (ت488هـ): ((كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس))[3].

وقد يذكر المؤلف بعض الصفات الخَلقية والخُلقية، أو الأمراض التي أصيبوا بها، وهو جانب مهم في حياتهم، وشخصياتهم، وقد أشار إلى الجمال والقبح والجوانب الإيجابية والسلبية، على نحو عابر، من دون دقة، وتفاصيل كثيرة في مزاياهم الجسمانية، وصفاتهم الخلقية، وعلى سبيل المثال قوله في ترجمة الحسن بن سهل (ت235هـ): ((غلبت عليه السوداء وكان بسببها أنه مرض فتغير عقله حتى شد في الحديد وحبس في البيت)) [4]، وقوله في ترجمة يعقوب بن داود وزير المهدي (ت145هـ): ((كان يعقوب سمحًا جوادًا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف)) [5]، وقوله في ترجمة ابن زبادة (ت594هـ): ((وكان مليح العبارة في الإنشاء، جيد الفكرة، لطيف الإشارة)) [6]. وقوله في ترجمة المعتز بالله (ت255هـ): ((وكان بديع الحسن))

([1]) م. ن: 328.

([2]) م. ن: 168.

([3]) م. ن: 181.

([4]) م. ن: 74.

([5]) م. ن: 108.

([6]) م. ن: 168.

[1]، وقوله في ترجمة التّلّعفري (ت675هـ): ((وكان ماهرًا أديبًا خليعًا معاشرًا، أمتحن بالقمار)) [2]، وقوله في ترجمة الزاهي (ت352هـ): ((وكان وصافًا محسنًا كثير الملح)) [3].

وعادة ما تكون هذه الصفات والعادات والطبائع، قائمة على ما اشتهر بين الناس ولا تخلو أحيانًا من ملحوظات شخصية للمؤلف، كما أن بعض هذه الصفات شائعة بين العامة.

خامسًا- تحديد سني الوفيات:

تعد كتب التراجم كحقل معرفي من أهم المصادر والمراجع، تعين الباحث في فهم ومعرفة، تطور الحياة العقلية، والأدبية، والعلمية للإنسان والمجتمع، على حدٍ سواء، فهي تسهل معرفة الأدباء، والعلماء، والاتصال بهم، والتعلم عنهم، بالرغم من حركة الزمن التراكمية الصاعدة دائما.

ولفن الترجمة علاقة وطيدة بحركة التأليف، بحيث ينظر إليه على أنه حلقة من حلقات هذه الحركة، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بمؤلفات القدماء، الذين عنوا بتدوين سير الصحابة، وتراجم طبقات المحدثين لما لذلك من صلة بأصول الدين والتشريع الإسلامي، إذ امتد ذلك إلى العناية بروايتي اللغة والأدب، فاتسعت آفاقه وتشعبت فروعه، حتى شملت أجناسًا من طبقات الرجال والنساء، شعراء وكتاب، لغويين ونحويين، فظهرت الكتب المصنفة في تراجم اللغويين

([1]) م. ن: 80.

([2]) م. ن: 144.

([3]) م. ن: 173.

والنحاة، والكتب المصنفة في تراجم الشعراء، والكتب المترجمة في تراجم الأدباء عامة، وغيرها من كتب أخرى مصنفة في هذا المجال[1].

((والحق أن التراجم العربية الإسلامية قد فاقت من حيث كثرتها وتنوعها وافتنانها في ترتيب الأعلام المترجمة، وافتنانها من حيث تبويب موضوعات التراجم، والاهتمامُ بها حتى في كتب التاريخ العام وكتب الشروح اللغوية، والترجمةُ لأعيان كل بلد أوكل مدينة في كتاب واحد، والترجمةُ لأعلام النساء بجانب أعلام الرجال، وتحقيق الوفيات والمواليد قدر ما سمحت به ظروف حياتهم الاجتماعية، والاستشهاد بآثار المترجم لهم في الشعر والنثر، وضبُط الأعلام وتحقيق المتشابه منها. قد فاقت في كل ذلك غيرها من التراجم في الآداب الأجنبية الأخرى في القديم والحديث))[2]

إن المؤلفين القدماء كانوا يضعون شروطًا يتقيدون بها عند تأليف التراجم، ومن هذه الشروط، ذكر تاريخ وفاة المترجم له، واتبع البغداديّ أسلافه في مثل هذه الشروط، وعمل على الأخذ بها، وتطبيقها على من ترجم لهم.

وقد نجح في تحديد تاريخ ومكان الوفاة، لمعظم التراجم، وبلغ فيهم من الدقة والتحري، فسجل اليوم والشهر والوقت، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة الفَرّاء (ت207هـ): ((وتوفي الفَرّاء (سنة207) بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة)) [3]، وقولة في ترجمة ابن قريعة (ت367هـ): ((وتوفي ابن قريعة يوم السبت لعشر بقين من جمادي الآخرة سنة (367) ببغداد وعمره خمس

([1]) ينظر: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: 159.

([2]) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسين: 12.

([3]) تراجم الأدباء: 67.

وستون سنة)) [1]، وقوله في ترجمة البدر لؤلؤ الذهبي (ت685هـ): ((وتوفي في دمشق في شعبان سنة (685)) [2]، وقوله في ترجمة العفيف: ((وكانت وفاته في يوم الأربعاء خامس شهر رجب سنة (690) بدمشق))[3].

وأما من لم يذكر سنة وفاتهم من التراجم، فلم يبين سبب عدم ذكره لتاريخ الوفاة، وقد يعود سبب ذلك، لعدم إمكانية الحصول عليها من مصادره التي اعتمد عليها، وقد بلغ عددهم ثلاث عشرة ترجمة، وهم كل من، ((خالد البارد))[4]، ((الإقسرائي))[5]، ((سفيان بن عينة))[6]، ((الملك أحمد بن مروان الكردي)) [7]، ((هبنقه))[8]، ((جذيمة الأبرش)) [9]، ((عمارة))[10]، ((ابن عمَّار)) [11]، ((أبو حيان التوحيدي))[12]، ((ابن زبلاق)) [13]، ((عمر بن أبي ربيعة))[14]، ((مسلم بن الوليد)) [1]، ((ابن عبد الظاهر)) [2].

([1]) م. ن: 129.

([2]) م. ن: 206.

([3]) م. ن: 377.

([4]) م. ن: 29.

([5]) م. ن: 44.

([6]) م. ن: 49.

([7]) م. ن: 60.

([8]) م. ن: 113.

([9]) م. ن: 114.

([10]) م. ن: 125.

([11]) م. ن: 217.

([12]) م. ن: 222.

([13]) م. ن: 241.

([14]) م. ن: 270.

سادسا – ذكر الشواهد الشعرية:

الشعر مثلما نعرف نتاج شعري بشري نابع من ذات الشاعر وأحاسيسه، وتأثره بالمواقف التي يمر بها الشاعر، والإنجازات الشعرية ليست أدنى من الإنجازات العلميَّة وغيرها، فبناء المجتمعات يكون باختلافِ الفنونِ، والآداب، والعلوم، وهكذا يعلو الإنسان، وكلّ الإنجازات البشريَّة ترتبط نتائجها بطريقة استعمالها.

ولا يخفى الأثر الكبير الذي خلفه كثير من الشعراء في بناءِ الفكر الإنسانيّ، فأثرى أدبهم، وفنهم، وفكرهم، العالم وأغنى مساره، وكذلك الشعر يمثل ثقافة المجتمع بشكل عام، ولذلك لم يخرج البغداديّ عن هذا التصور لقيمة الشعر في تراجمه، ولذلك ساد الشعر معظم التراجم.

وتغطي الشواهد الشعرية بشكل واضح أغلب التراجم، فقد حرص البغداديّ على بيان مدى شاعرية الشعراء، في مختلف ضروب الشعر، كما في ترجمة ((ظافر الحداد))[3]، وترجمة ((الصفي الحلي))[4]، وترجمة ((السراج الورَّاق))[5]، وترجمة ((ابن حَمدِيس))[6]، وترجمة ((الوداعي)) [7].

([1]) م. ن: 317.

([2]) م. ن: 362.

([3]) م. ن: 138.

([4]) م. ن: 230.

([5]) م. ن: 252.

([6]) م. ن: 299.

([7]) م. ن: 335.

وتجدر الإشارة إلى أن البغداديّ يبدي أراءه أحيانًا في بيان المكانة الشعرية لبعض الشعراء، معتمدًا على ذوقه وميوله، من ذلك قوله في ترجمة البسامي (ت302هـ): ((وكان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء)) [1]، وقوله في ترجمة حمّاد عجرد (ت161هـ): ((وحماد عجرد من الشعراء المجيدين)) [2]، وقوله في ترجمة ابن عُنين (ت630هـ): ((الشاعر المشهور كان خاتمة الشعراء لم يأتِ بعده مثله)) [3].

اسلوب المؤلف:

وجدير بالذكر أن أسلوب المؤلف في "تراجم الأدباء" بشكل عام قد تميز بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني، إذ استعمل البغداديّ اللغة العربية الفصحى والواضحة، فلم نجد ضمن كتابته ألفاظًا وكلمات عامية، فكان أسلوبه في الكتاب ممتعًا، يدفع القارئ للقراءة، والإفادة من المعلومات الواردة، ضمن الأعلام المترجم لهم، سواء كانت أدبية، أم تاريخية، أم شعرية، بعيدًا عن أساليب السجع، والتأنق اللفظي، كما تميز أسلوبه بكونه مفهومًا، يسهل على القارئ فهم المعلومات، ونقل الوقائع، وتتبع سيرة العالم أو الفقيه، ومثال ذلك قوله في ترجمة الفضل بن مروان (ت250هـ): ((أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس وزير المعتصم، وهو الذي أخذ له البيعة ببغداد وكان المعتصم ببلاد الروم)) [4].

([1]) م. ن: 87.

([2]) م. ن: 103.

([3]) م. ن: 337.

([4]) م. ن: 228.

وكانت معظم تراجمه، قد تميزت بالإيجاز، الذي لا يوصل في –بعض الأحيان– صورة كاملة عن المترجم له [1]، بالمقابل نجد ترجمات قد أسهب فيها، ومثال ذلك قوله في ترجمة المعتمد بن عبّاد صاح أشبيلية (ت488هـ): ((المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله، أبي عمرو وعماد بن الظاهر المؤيد بالله، أبي القاسم محمد قاضي أشبيلية ابن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو بن سلم بن عمر بن عطّاف بن نعيم اللّخمي، من ولد النعمان بن المُنذر اللّخمي أحد ملوك الحيرة...))[2]، ثم يسرد أخبارًا عن مكانته ومناصبه.

ونخلص من ذلك أن أسلوبه، سلس وبسيط، ومفهوم، ليس فيه تعقيد لغوي، ممتع في القراءة بالنسبة للقارئ، إذ ينقل القارئ عبر مناطق العالم الإسلامي، ويحدثه عن أخبار الأدباء وقضاياهم، والأعمال الشعرية للشعراء، ما يدل على تمكنه من مادته.

([1]) ينظر: م. ن: 29، 46، 62، 113، 137، 164، 171، 330.

([2]) م. ن: 180.

المبحث الثالث

مصـــادره

إن المصادر هي الأساس، الذي ينطلق منه مؤلفو الكتب في جمع المعلومات، قبل البدء في التأليف مع تفاوتهم في توخيّ الدقة، والصدق والوضوح، في محاولة منهم للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، والتي تحفظ جوانب مهمة من سير من يترجمون لهم.

وقد اعتنى البغداديّ بذكر المصادر، التي استقى منها تراجمه، إذ كان كثير التصريح بها، ودائم الإشارة إليها، وفي مواضع عِدَّة، ما يعطي قوة للترجمة، ويزيد من حيويتها. وتقسم هذه المصادر من حيث أهميتها، ودرجة اعتماده عليها على النحو الآتي:

أولًا- مصادر التراجم والسير:

ويقصد بها المؤلفات التي سبقت كتاب "تراجم الأدباء" أو عاصرته، فقد لجأ إليها البغداديّ، في كتابه من أجل توثيق التراجم، وتأتي كتب التراجم والسير في المرتبة الأولى لموارد البغداديّ؛ لكونه كتب عن أعلام سابقة له من عصور مختلفة، ومن أمصار إسلامية متنوعة، لذلك حاجته لهذه الكتب من الضرورات القصوى، ومن هذه الكتب:

1- كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ):

هو من كتب التراجم لأبي منصور الثعالبي[1](429هـ) الذي خصه بتراجم شعراء عصره، وهو كتاب قيم جامع مبسوط، ضمنه كثيرًا من أشعار ولطائف من ترجم لهم. طبع الكتاب في أربعة

(1) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور، كان فراءً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ وصنف الكتب الكثيرة الممتعة.

أجزاء بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد سنة (1947م) بالقاهرة، وطبع مرة أخرى بتحقيق الدكتور مفيد محمد قمحية بخمسة أجزاء في بيروت سنة (1983). ونقل البغداديّ عنه أربعة نصوص من ذلك قوله ترجمة قابوس (ت453هـ): ((قال الثعالبي في اليتيمة: وأنا أختم هذا الكتاب بذكر خاتم الملوك، وغزة الزمان، وينبوع العدل والإحسان ومن جمع الله سبحانه إلى عزة العلم بسطة القلم، والى فضل الحكمة فصل الحكم)) [1] .

2- كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ (ت463هـ): ألفه الخطيب البغداديّ [2](ت463هـ)، وذكر فيه رجال بغداد، ومن ورد إليها ونزل فيها، وخرج منها من العلماء والقضاة والأمراء، وذوي السلطان والأدباء والشعراء، وضم إليه فوائد جمة، رتبه على حروف المعجم، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين، وعليه ذيول متعددة، وطبع في القاهرة سنة (1931) في أربعة عشر جزءًا، وطبع في بيروت بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف سنة (2002) في ستة عشر جزءًا وجزء للفهارس. وأشار البغداديّ إلى نصين نقلهما من هذا الكتاب، منها قوله في ترجمة الزاهي (ت352هـ): ((ذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال: إنه حسن الشعر في التشبيهات وغيرها، وأحسب شعره قليلًا، وأشار إلى أنه كان قطانًا وكانت دكانه في "قطيعة الربيع")) [3]

من كتبه "يتيمة الدهر" أربعة أجزاء، في تراجم شعراء عصره، و"فقه اللغة" سحر البلاغة" و"من غاب عنه المطرب" و"غرر أخبار ملوك الفرس، ينظر: الأعلام: 4\163.

([1]) تراجم الأدباء:308، يتيمة الدهر: 4\69.

([2]) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغداديّ، المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، ولد في غُزية وهي في الطريق بين الكوفة ومكة، له عدد من المؤلفات منها تقييد العلم، ينظر: الأعلام:1\172 .

([3]) تراجم الأدباء: 174، وتاريخ بغداد: 11\350.

والنص الآخر الذي نقله في ترجمة سيبويه (ت177هـ): ((وذكر الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال: ومات سيبويه بشيراز وقبره بها والله أعلم)) [1].

3- كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت626هـ):

لشهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الحموي[2] (626هـ) ذكر في كتابه ما وقع إليه ((وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين، والإخباريين، والمؤرخين، والوراقين المعروفين، والكتاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعنية، وكلّ من صنّف في الأدب تصنيفًا، أو جمعًا في فنه تأليفًا))[3]، ترجم ياقوت لمن وصفهم في جميع البلاد الإسلامية، وفي مختلف العصور إلى زمانه، ورتب كتابه على حروف الهجاء. طبع قديمًا بالقاهرة في سبعة أجزاء، ثم طبع في عشرين جزءًا بإشراف الدكتور أحمد فريد الرفاعي في دار المأمون سنة (1938)، وطبع في بيروت بتحقيق الدكتور احسان عباس في سبعة أجزاء سنة (1993). ونقل البغداديّ ثلاثة نصوص من هذا الكتاب، من ذلك ما جاء في ترجمة محمد بن أبي الفضل المرسي(ت655هـ): ((قال ياقوت: أحد أدباء عصرنا، ومن أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب، وضرب فيه بالسهم المصيب، خرج التاريخ، وتكلم على المفصل للزمخشري، وأخذ عليه عدة مواضع بلغني أنها سبعين موضعًا، وأقام على خطها البرهان، واستدل على سقمها بالبيان،

([1]) م. ن: 94، و م. ن: 12\195.

([2]) شهاب الدين الرومي مولى عسكر الحموي، السفار النحوي الإخباري المؤرخ. أعتقه مولاه فنسخ بالأجرة، وكان ذكيا، ثم سافر مضاربة إلى كيش، وكان من المطالعة قد عرف أشياء، وتكلم في بعض الصحابة فأهين، وهرب إلى حلب، ثم إلى إربل وخراسان، وتجر بمرو وبخوارزم، فابتلي بخروج التتار فنجا برقبته، وتوصل فقيرا إلى حلب، وقاسى شدائد، ينظر: سير أعلام النبلاء: 22\313.

([3]) معجم الأدباء: 1\7.

وله تصانيف عدة)) [1]، ومما نقله من هذا الكتاب أيضًا ما ورد في ترجمة محمد بن الحسين (ت421هـ): ((قال ياقوت أخذ عن خاله علم العربية وطوَّف الآفاق، ورجع إلى الوطن. وكان خاله أوفده على الصاحب بن عباد إلى الريّ فارتضاه وأكرم مثواه، ثم تغرب أبو الحسين ولقي الناس في أسفاره وورد خراسان ونزل نيسابور دفعات...))[2].

4- كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت681هـ):

ألفه القاضي ابن خلكان[3] المتوفى (681هـ)، ترجم للمشاهير، والأعلام حتى قبل وفاته، وبلغ عدد تراجم الكتاب (865) ترجمة، ورتبه على حروف الهجاء، وطبع الكتاب في ثماني مجلدات سنة (1948م)، بمصر بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، وطبع مرة أخرى في سبع مجلدات بتحقيق الدكتور إحسان عباس في بيروت سنة (1968)، ويعد من أكثر الكتب حضورًا، في كتاب "تراجم الأدباء"، وتدل على ذلك النصوص المنقولة من هذا الكتاب، والبالغ عددها ثمان وثمانين نصًا.

وقد أشار البغداديّ إلى أسم المؤلف في أغلب التراجم، بعد أن ينتهي من الترجمة، أو خلال عرض المادة، ومثال ذلك قوله في ترجمة ابن أبي ليلى (ت148هـ): ((وكان فقيهاً مفتياً، وتفقه محمد بالشعبي، وأخذ من سفيان الثوري، وقال محمد المذكور: دخلت على عطاء فجعل يسألني فأنكر بعض من عنده وكلمه في ذلك، فقال: هو أعلم مني. وكانت بينه وبين أبي حنيفة رضي

([1]) تراجم الأدباء: 111، ومعجم الأدباء: 6\2546.

([2]) م. ن: 142، و م. ن: 6\2523.

([3]) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة ثمان وستمائة، وكان فاضلًا بارعًا عارفًا بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة، وقد تفقه بالموصل على كمال الدّين ابن يونس، ينظر: شذرات الذهب: 5\371.

الله عنه وحشة يسيرة، وكان يجلس للحكم في مسجد الكوفة، وكانت ولادة محمد المذكور سنة (74) للهجرة وتوفي سنة (148هـ) بالكوفة، وهو باق على القضاء، فجعل أبو جعفر المنصور ابن أخيه مكانه رضي الله عنه. ابن خلكان))[1] ،وقوله في ترجمة ابن دُرُستويه (ت337هـ): ((وتصانيف في غاية الجودة والإتقان، منها: " تفسير كتاب الجرمي " و" الإرشاد " في النحو، و"كتاب الهجاء" و"شرح الفصيح والرد على المفضل الضبي في الرد على الخليل " و"كتاب الهداية" و"كتاب المقصور والممدود" و" كتاب غريب الحديث" و"كتاب معاني الشعر" و"كتاب الحي والميت" و"كتاب التوسط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن" و"كتاب خبر قس بن ساعدة" و"كتاب الأعداد" و"كتاب أخبار النحويين" و"كتاب الرد على الفراء في المعاني"، وله كتب عدة شرع فيها ولم يكملها. ابن خلكان.))[2]، وقوله في ترجمة الربيع بن يونس (ت170هـ): ((وكان كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه وكانت وفاة الربيع في أول سنة(170هـ)، وقيل إن الهادي سَمّه وقيل مرض ثمانية أيام ومات. وكان الربيع كبير المكانة عند بني العباس كثير الدهاء والمعرفة والتدبير بما يتولاه، وهومن المشاهير الأعيان وله فضل وأدب، وينسب إليه أشعار جيدة، وقطيعة الربيع منسوبة إليه وهي محلة كبيرة مشهورة ببغداد وإنما قيل لها قطيعة الربيع؛ لأن المنصور أقطعه إياها. ابن خلكان))[3].

5- كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي[4](ت764هـ):

([1]) تراجم الأدباء: 62، وفيات الأعيان: 4\179.

([2]) م . ن : 54، م . ن : 3\44.

([3]) م. ن: 236، م. ن: 2\294.

([4]) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدّين، أديب ومؤرخ، ولد في صفد بفلسطين وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها له زهاء مئتي مصنف منها، الشعور بالعور في تراجم العور وأخبارهم، ينظر: الأعلام: 2\315.

هو كتاب كبير في تراجم العلماء والأمراء، والوزراء والحفاظ، والقراء والقضاة، والمفتين والأدباء، والشعراء وكثير من أهل الفضل، رتبه على حروف الهجاء، وذكر التراجم موجزة مركزة من غير أن يذكر أسانيد أخبارها، وطبع الكتاب عدة طبعات منها طبعة سنة (2000م) بتحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ببيروت بتسعة وعشرين جزء. ونقل البغداديّ من هذا الكتاب نصين وذكر اسم المؤلف، في وسط الترجمة، منها قوله في ترجمة الصفي الحلي (ت750هـ): ((وقد اتفق غالب مدائحه في ملوك ماردين بني أرتق، وكان يتردد إلى حماة ويمتدح ملكها المؤيد والأفضل ولده، وكانا يعظمانه. وهومن الشجعان الأبطال قتل خالده وكان فيه آثار لجراحه وأنشدني إجازة لنفسه يفتخر: (الطويل)

سـوابُقنـــا والنقيـــعُ والسعـــرُ والظبـــا وأحســـابُنـا والحلـــمُ والبـأسُ والبـــرُّ
هبـوب الصّـبا والليـلُ والبـرُّ والقضـا وشمسُ الضحى والطودُ والغارُ والبحر[1]

انتهى كلام الصفدي باختصار)) [2].

6- كتاب طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت851هـ):

هو كتاب للفقيه ابن قاضي شهبة (851هـ)[3]، ترجم فيه لجماعة واحدة وهم الفقهاء الشافعيون بحسب طبقاتهم، إذ يذكر فيه المؤلف اسم الفقيه ونسبه، وروايته ودرجته بين أهل العلم، ورتب كل طبقة على حروف الهجاء. بدأ المؤلف كتابه بعلماء القرن الثالث الهجري، وانتهى إلى سنة

([1]) تراجم الأدباء: 231، وديوان صفي الدّين الحلي: 45.

([2]) تراجم الأدباء: 231، والوافي بالوفيات:18\292 .

([3]) هو أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد، المعروف بابن قاضي شهبة ولد سنة 779هـ بدمشق وتوفي أبوه وهو ابن إحدى وعشرة سنة، ألف كتبًا كثيرة منها شرح المنهاج للنووي، توفي سنة (ت851هـ)، ينظر: النجوم الزاهرة:7\314.

(840) ويبلغ عدد تراجمه إلى (784)[1]، والكتاب من أربعة أجزاء حققه الدكتور الحافظ عبد العليم خان طبع في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في الهند سنة (1978)، ونقل عنه البغداديّ أربعة نصوص، وأشار إلى اسم المؤلف أو الكتاب، مختصرًا في نهاية الترجمة، ومن ذلك قوله في ترجمة الذهبي (ت745هـ): ((توفي في ذي القعدة سنة (745) ودفن "بباب الصغير"، وجمع مصنفات مفيدة، وجمع تاريخ الإسلام فأربى في على من تقدمه بتحرير أخبار المُحَدِثين خصوصًا، وصل فيه إلى سنة (700) واختصر منه مختصرات كثيرة منها العبر وسير النبلاء وطبقات الحفاظ وطبقات القراء وغير ذلك. ابن شبهة في طبقاته.)) [2]، وقوله في ترجمة ابن فضل الله (ت749هـ): ((وله مصنفات عديدة بعبارة جيدة، وتوفي شهيدًا بالطاعون يوم عرفة سنة (749) ودفن بتربتهم قبالة اليعمودية مع أبيه وأخيه، وفي ذكره في طبقات الشافعية. ابن شهبة في طبقاته.)) [3] .

7- كتاب الدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغري بردي (ت874هـ):

هو أحد المعاجم التاريخية ألفه ابن تغري بردي[4] (ت874هـ)، ترجم فيه لما يقارب من ثلاثة آلاف علم من الخلفاء والملوك، والسلاطين والأمراء والوزراء، والعلماء والأدباء، والكتاب والشعراء، والخطباء والمؤرخين، والأطباء والمهندسين والخطاطين، وأعيان الدولة من التجار وأرباب المهن المختلفة ممن عاشوا في مصر أوفي الشام، ومن عاصرهم من أهل الحجاز

([1]) طبقات الشافعية: 1\38.

([2]) تراجم الأدباء: 334، وطبقات الشافعية: 2\208.

([3]) م. ن:278، و م. ن: 2\169.

([4]) هو جمال الدّين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي البشبغاوي الظاهري، ولد في أواخر سنة (813هـ) في القاهرة، حفظ القرآن الكريم، وألفية ابن مالك في النحو، وامتاز بحسن العشرة وتمام العقل، ومن مؤلفاته النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وتوفي سنة (ت874هـ)، ينظر: النجوم الزاهرة: 14\237.

واليمن والعراق، ورجالات التتار وبلاد المغرب والأندلس، وبعض فضليات النساء[1]، ورتبه على حروف الهجاء، وطبع الكتاب بالقاهرة سنة (1998) بتحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت في مجلدين. وأخذ منه البغداديّ أربعِ عشرة نصًا، وذكر اسم الكتاب مختصرًا في وسط أو نهاية الترجمة، ومن ذلك قوله في ترجمة رشيد الفارقي (ت689هـ): ((عمر بن إسماعيل بن مسعود بن سعيد الشيخ رشيد الدّين أبو حفص الربعي الفارقي ولد في حادي عشر شعبان (598)، بميّا فارقين من ديار بكر، ومات في رابع محرم أو خامسه سنة (689) رحمه الله تعالى. المنهل الصافي))[2]، وقوله في ترجمة الملك صلاح الدين (ت656هـ): ((داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدّين أبو المفاخر وأبو المظفر، ابن السلطان الملك المعظم ابن الملك العادل، ولد بدمشق في جمادى الآخر سنة (603) المنهل الصافي))[3] .

8- كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي (ت911 هـ):

هو من كتب التراجم للسيوطي[4] ترجم فيه للنحاة، واللغويين من صدر الإسلام إلى أواسط القرن التاسع من الهجرة، فقد استفاد السيوطي من كتب السابقين، وزاد عليها ما انتقاه من

([1]) ينظر: مقدمة التحقيق الدليل الشافي: 5.

([2]) تراجم الأدباء: 252، والدليل الشافي: 1\415.

([3]) م. ن:72، و م. ن: 1\295.

([4]) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما مات والده وعمره خمس سنوات ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة (ت911هـ)، ينظر: الأعلام:3\301.

كتب الأدب والتاريخ والتّراجم، ومعاجم الشيوخ ومقدمات الكتب عدا مشاهداته، وأخبار شيوخه، وعلماء عصره، واجتهد في جمع ذلك واستقصائه[1]. ورتب الكتاب على حروف الهجاء. وطبع في القاهرة بتحقيق الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم في جزأين سنة (1966). ونقل عنه البغداديّ سبعة عشر نصًا، وأشار إلى اسم المؤلف والكتاب مختصرًا في نهاية الترجمة، ومنها قوله في ترجمة الكسائي (ت183هـ): ((قال ابن الأعرابي: كان الكسائي ضابطًا عالمًا بالعربية قارئًا صدوقًا، إلا أنه كان يديم شرب النبيذ، ويأتي الغلمان، وأدب ولد الرشيد، وجرى بينه وبين أبي يوسف القاضي مجالس حكيناها في الطبقات الكبرى. وعن الفراء قال: قال لي رجل ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء، فكأني كنت طائرًا يغرف بمنقاره من البحر. وعنه أيضًا قال: مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس وإن المفتوحة والحكاية. قال: ولم يكن الخليل يحسن النداء ولا سيبويه يدري حد التعجب. السيوطي في طبقاته))[2]، وقوله في ترجمة عضد الدولة (ت372هـ): ((كان عضد الدولة من بني ساسان الأكبر أحد العلماء بالعربية والأدب، كان فاضلًا نحويًا لغويًا شيعيًا له مشاركة في عدة فنون، وله في العربية أبحاث حسنة وأقوال. نقل عنه ابن هشام الخضراوي في الإفصاح أشياء، وكان كامل العقل، غزير الفضل، حسن السياسة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ذا رأي ثاقب، محبًا للفضائل، تاركًا للرذائل، باذلًا في أماكن العطاء، ممسكًا في أماكن الحرم، له في الأدب يدٌ متمكنة، ويقول الشعر الجيد. السيوطي في طبقات النحاة))[3] .

9- كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لأحمد طاش كبري زاده (ت968هـ):

([1]) ينظر: مقدمة التحقيق بغية الوعاة: 3.

([2]) تراجم الأدباء: 41، وبغية الوعاة: 2\162.

([3]) م. ن: 167، و م. ن: 2\247.

ألفه أحمد طاش كبري زاده [1] المتوفى سنة (968هـ) جمع فيه مناقب علماء الدولة العثمانية وأخبارهم، ومآثرهم وبلغ عددهم (522) علمًا، كما احتوى على ذكر أنواع العلوم، ومن صنف فيها وموضوعاتها، وكذلك ذكر سيرة حياتهم، ورَتّبهم في عشر طبقات، طبع الكتاب سنة (1571م) بتحقيق الدكتور أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، نشر مركز التاريخ العربي بجزئين، وطبع في بيروت سنة (1975م). ونقل البغداديّ نصين من الكتاب، وأشار البغداديّ إلى اسم الكتاب والمؤلف مختصرًا في نهاية الترجمة، ومن ذلك قوله في ترجمة السيد عبد الرحيم العباسي (ت963هـ): ((وله من القصائد المنشآت عدد لا يحصى، وله شرح للبخاري مختصر مفيد، وله شرح شواهد التلخيص سماه "معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص"، وقد استدرك في كثير من المواضع على الشراح –روّح الله تعالى روحه– شقائق النعمان لابن طاش كبرى.)) [2] .

10– كتاب التذكرة الأيوبية لموسى بن يوسف الأيوبي (ت1000هـ):

ألفه الأيوبي[3] المتوفى سنة (1000هـ) والكتاب مخطوط[4]. نقل منه البغداديّ نصين وذكر اسم الكتاب في نهاية الترجمة، ومثال ذلك قوله في ترجمة الشّهاب محمود (ت725هـ):

([1]) أحمد بن مصطفى بن خليك، أبو الخير، عصام الدّين طاشكبري زاده، مؤرخ تركي الأصل، ولد في بروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية، مدرّسًا للفقه والحديث وعلوم العربية، وولي القضاء بالقسطنطينية، ينظر: الأعلام:1\257.

([2]) تراجم الأدباء: 16، وشقائق النعمان: 1\459.

([3]) هو موسى بن يوسف بن أحمد الأيوبي الأنصاري النعماني الشافعي، أبو أيوب، شرف الدين، وهو مؤرخ، من القضاة من أهل دمشق، ومن مؤلفاته، الروض العاطر في ما تيسر من أخبار القرن السابع إلى ختام القرن العاشر، وتوفي سنة (1000هـ)، ينظر: الأعلام: 7\332.

([4]) ينظر: الأعلام: 7\332.

((حسن السيرة السلوك، كاتبًا كاتمًا أسرار الملوك، ذا عفة وصيانة وصبر على حمل ثقل الأمانة، وديانة وتقشف وتواضع وتلطف وسكون ووقار ومحبة الأتقياء والأبرار، يتحلى بعقود الأناة والحلم ويواظب على تلاوة القرآن، والنظر في العلم، كاتب الإنشاء بمصر والشام، وتفرد وثغر الدهر بالعلماء بسّام، وله المفيدة والمراسلات العديدة، روى وأفاد وهرع إليه الطلبة من سائر البلاد، وسمع منه الأستاذ الحافظ أبو حيان، والحافظ أبوعبد الله الذهبي، وغيرهما من الأئمة الأعيان. من التذكرة الأيوبية.))[1] .

ثانيًا – المصادر الأدبية:

ذكر المؤلف عددًا من الكتب الأدبية الّتي وثق منها معلوماته، واستقى منها أخباره نذكر أهمها:

1– الدواوين الشعرية:

اعتمد البغداديّ على دواوين الشعراء، فهي تمثل مصدرًا أساسيًا في الوقوف على أشعارهم، والاعتماد على الدواوين الشعرية في اثبات شعر الشاعر يمثل منهج سليم، كون هذه الدواوين موثقة من الشعراء أنفسهم أو رواتهم أو تلاميذهم [2].

وتجدر الإشارة أن المؤلف ذكر (ثمانية وأربعين) شاعرًا من أصحاب الدواوين من مجموع تراجمه التي بلغت مائة وتسعة وأربعين ترجمة، من ذلك قوله في ترجمة ابن عُنين (ت630هـ): ((الشاعر المشهور كان خاتمة الشعراء لم يأتِ بعده مثله، وكان مولعًا بالهجاء وثلب أعراض الناس، وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقًا كثيرًا من رؤساء دمشق سمَّاها "مقراض الأعراض"،

([1]) تراجم الأدباء : 353.

([2]) ينظر: منهج البحث الأدبي عند العرب، أحمد جاسم النجدي: 84.85.

وكان السلطان صلاح الدين قد نفاه من دمشق؛ بسبب وقوعه في الناس)) [1]، ومنه أيضًا قوله في ترجمة السراج الوراق (ت695هـ): ((وقفت بالقاهرة على ديوانه بخطه وهو في سبعة أجزاء كبار ضخمة إلى الغاية)) [2]، وقوله في ترجمة ابن سكرة (ت385هـ): ((ويقال إن ديوان ابن سَكْرَة يُربي على خمسين ألف بيت))[3]، وقوله في ترجمة الصّوري (ت419هـ): ((أحد المحسنين الفضلاء المجيدين الأدباء شعره بديع الألفاظ حسن المعاني رايق الكلام مليح النظام، من محاسن أهل الشام له ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان))[4]، وقوله في ترجمة ابن الساعاتي (ت602هـ): ((شاعر مبرز في حلبة المتأخرين، له ديوان شعر يدخل فيه في مجلدين أجاد فيه كل الإجادة وديوان آخر لطيف سَمَّاه " مقطعات النسل"...))[5].

وجدير بالذكر أن البغداديّ اكتفى بالإشارة إلى ديوان الشاعر، أو عدد مجلداته، فلم يرجع إلى هذه الدواوين الشعرية لتثبيت النصوص الشعرية التي ذكرها في تراجمه.

2- كتاب المعارف لابن قتيبة (ت276هـ): أشار المؤلف إلى نصٍّ واحدٍ نقله من هذا الكتاب، وهو قوله في ترجمة حمّاد الراوية (ت157هـ): ((أبو القاسم حمّاد بن أبي ليلى سابور، وقيل مَيْسرة بن المبارك بن عبيد الدَيْلمي الكوفي، مولى بكر بن وائل المعروف بالراوية. وقال قتيبة في كتاب المعارف إنه مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي الصحابي رضي الله عنه.))[6]

([1]) تراجم الأدباء: 378.

([2]) م. ن: 253.

([3]) م. ن: 134.

([4]) م. ن: 344.

([5]) م. ن: 215.

([6]) تراجم الأدباء: 63، والمعارف:544.

3- كتاب لطائف المعارف لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ):

ونقل البغداديّ عنه نصًا واحدًا، وهو قوله في ترجمة نفطويه (ت323هـ): ((قال أبو منصور الثعالبي في أوائل كتاب لطائف المعارف إنه لُقب نفطويه وأدمة شعره تشبيهًا له بالنفط، وهذا اللقب على مثال سيبويه، لأنه كان ينسب في النحو إليه ويجري على طريقته ويدرس درس كتابه))[1].

4- ونقل المؤلف عن كتاب (ثمرات الأوراق في المحاضرات) لابن حجة الحموي[2] قوله في ترجمة خالد البارد (ت269هـ): ((ذكر ابن حجة في نوادر ثمرات الأوراق، أن خالد البارد كبر حتى دق عظمه، ورق جلده، وقوي بالوسواس)) [3].

ثالثًا - المصادر التاريخية:

اعتمد المؤلف على عدد من الكتب التاريخية في توثيق معلوماته نذكر منها:

1- كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري (ت310هـ):

للإمام المؤرخ الحافظ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري[4] (310هـ) رتبه على السنين، وذكر أحداث كل سنة ورجالاتها. نقل عنه البغداديّ ثلاثة نصوص، منها قوله في ترجمة

([1]) تراجم الأدباء:56، ولطائف المعارف: 34.

([2]) أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تقي الدّين ابن حجة، إمام أهل الأدب في عصره، وكان شاعرًا جيد الإنشاء. من أهل حماة بسوريا، وتوفي سنة (837هـ)، ومن مؤلفاته، خزانة الأدب وغاية الأرب، ينظر: الأعلام: 2\67.

([3]) تراجم الأدباء: 29، وثمرات الأوراق: 1\85.

([4]) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك،

الفضل بن سهل (ت202هـ): ((وذكر الطبري في تاريخه: أن عمره كان ستين سنة ورثاه مسلم بن الوليد الأنصاري، ودعبل بن ابراهيم بن العباس، ومات والده سهل سنة (202) أيضًا بعد قتل ابنه بقليل، وعاشت أمه وأم اخيه الحسن حتى أدركت عرس "بوران" على المأمون))[1].

2- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي[2] (ت346هـ):

ونقل المؤلف نصين من هذا الكتاب ومنه قوله في ترجمة يحيى بن خالد البرمكي (ت190هـ): ((وقال المسعودي في كتابه مروج الذهب: لم يبلغ مبلغ خالد بن بَرْمك من ولده في جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله، لا يحيى في رأيه ووفور عقله، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته، ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحة لسانه، ولا محمد بن يحيى في سروره وبعد همته، ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه))[3] .

3- كتاب دول الإسلام للإمام الحافظ شمس الدّين الذهبي[4] (ت748هـ):

نقل البغداديّ عن هذا الكتاب ثلاثة نصوص، وذكر البغداديّ اسم الكتاب وأسم المؤلف مختصرًا نهاية الترجمة، مثال ذلك قوله في ترجمة المستعين بالله (ت252هـ): ((وكان مربوعًا

وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدا، ينظر: وفيات الأعيان: 4\191.

([1]) تراجم الأدباء: 322، وتاريخ الأمم: 8\566.

([2]) هو علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود. مؤرخ ورحالة من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها، ينظر: الأعلام: 4\277.

([3]) تراجم الأدباء: 35، ومروج الذهب: 3\304.

([4]) القاضي شمس الدّين الذهبي، هو محمد بن أحمد بن عثمان الإمام العلامة الحافظ المقرئ، مؤرخ الإسلام أبو عبدالله التركماني الفارقي الدمشقي المعروف بالذهبي، ينظر: تراجم الأدباء: 333.

مليح الوجه به أثر حديدي. وكان يلثغ في السين ثاء. وكان كريمًا مبذرًا للأموال سامحه الله ورحمه. دول الإسلام للذهبي.))[1].

بعد هذا الاستعراض للكتب المؤلفة تجدر الإشارة إلى أنّ البغداديّ اعتمد على النقل من هذه المؤلفات، فلم يرجع إلى هذه المؤلفات من أجل توثيقها في كتابه، ولم يحلل الأخبار الواردة في هذه المؤلفات التي نقل منها، بل نقلها في كتابه "تراجم الأدباء" كما وردت، ما نرى قصورًا منه في توظيف مصادره، مستسهلًا النقل من مصادر عدة تناولت المترجم له نتفًا جمعها من دون أن يفي مادته حقها، وقد يكون الدافع لهذا النقل، هو ثقته العلمية بالمصادر التي نقل منها.

قيمة الكتاب:

أما عن قيمة الكتاب الأدبية، فيعد كتاب "تراجم الأدباء" مكملًا لسيرة تراجم الأعلام ممن تُرجِم عنهم في المؤلفات التي سبقت عصر البغداديّ، وتبرز أهميته كونه امتاز بتنوع في عرض المادة؛ لأن الشخصيات التي انتقاها من عصور مختلفة، ومن أماكن مختلفة إذ ذكر أعلامًا من المشرق العربي، ومن المغرب العربي [2]، وذكر أعلام من أماكن مشهورة، وأماكن غير مشهورة، ولم يختص على ذكر طبقة معينة من العلماء، والأدباء ممن تخصصوا بعلم واحد، بل تنوعت نماذجه المختارة لتشمل، أدباء، ونحاة ولغويين، وشعراء وكتابًا، وقضاة، وممن تولى وظائف رسمية، فكان التنوع واضحًا في عرض المادة، ولم يقتصر هذا التنوع على الشخصيات المختارة، بل حتى شمل النصوص الشعرية المنتقاة، والتي أخذت طابعًا حمل في طياته أغراضًا متنوعة المضامين في، الغزل والمديح، والهجاء، والرثاء، والوصف والحكمة،

(1) تراجم الأدباء: 81، ودول الإسلام: 1\360.

(2) ينظر: تراجم الأدباء: 14، 23، 34، 56، 78، 89.

فأعطى هذا التنوع رونقًا خاصًا للكتاب، حتّى أن هناك متعة في القراءة بالنسبة للقارئ، فهو يتنقل من مادة إلى أخرى دون أن يصيبه الملل.

أما عن قيمة الكتاب التاريخية فقد احتوى الكتاب على مجموعة كبيرة من الأخبار التاريخية التي وثقت جوانب من عصور تاريخ العرب (الإسلامي، والأموي، والعباسي، والأندلسي) واعتمد البغداديّ في نقله الأخبار على مرجعيات عدّة منها؛ المرجعية السياسية؛ التي وثّق فيها بعض جوانب الحياة السياسية في تلك العصور، ومثال ذلك ما أورده في ترجمة روح بن حاتم (ت174هـ): ((كان روح المذكور من الكرماء الأجواد، ولّي لخمسة من الخلفاء السفاء والمنصور والمهدي والهادي والرشيد. ويقال: إنه لم يتفق مثل هذا إلاّ لأبي موسى الأشعري فإنه ولي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه السلام). وكان روح والياً على السند ولاه إياه المهدي بن أبي جعفر المنصور وكان قد ولّاه في أول خلافته الكوفة، وقيل إنه ولي السند سنة (161هـ) ثمّ ولّاه البصرة))[1] .

وقد يعتمد على المرجعية الدينية في إيراد خبره التأريخي، ومثال ذلك قوله في ترجمة البسامي (ت302هـ): ((وكان المتوكل كثير التحامل على عليّ وولديه الحسن والحسين (عليهم السلام)، فهدم هذا المكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به. وأمر من يبرز ويبقى موضع قبره ومنع الناس من إتيانه))[2] .

وقد يعتمد مرجعية اجتماعية في إيراد الأخبار االتاريخية ، فيعرض فيها طبيعة الحياة الاجتماعية التي تربط بين الناس وبخاصة التي تربط الخليفة مع حاشيته، ومن ذلك قوله في

([1]) تراجم الأدباء : 235.

([2]) م . ن : 89.

ترجمة الكِسائي (ت183هـ): ((وكان يؤدب الأمين ابن هارون الرشيد، ويعلمه الأدب ولم يكن له زوجة ولا جارية، فكتب إلى الرشيد يشكو الغربة في هذه الأبيات: (الكامل)

قـل للخليفـة مـا تقـولُ لِمَـنْ	**أمســى إليــكَ بحرمــةٍ يُــدلي**
مـا زلـتُ مُذْ صـار الأمـينُ معـي	**عَبْـدي يَـدي وَ مطيتـي رِجْلـي**
وعلــى فراشــي مَــنْ يُنَبهُنــي	**مِــنْ نَــومَتي[1] وقيامــهِ قبلــي**
أســعى برِجْــلٍ منــهُ ثالثــة	**موفـورة[2]مّنــي بــلا رِجلــي[3]**
وإذا ركبــتُ أكــونُ مُرتــدفاً	**قُــدّام سَــرْجي راكــبٌ مثلــي**
فــامْنُنْ علــيّ بمــا يُســكِنهُ	**عّنــي واهْـدِ الغَمْـدَ للِنصْـلِ[4]**

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم، وجارية حسنة بجميع آلاتها، وخادم وبرذون بجميع آلاته.)) [5].

يتبيّن من ذلك أن البغداديّ أورد الكثير من الاحداث التاريخية عبر تراجمه المختارة، مما اضفى طابع التنوع ، وما ينتج عنه من تشويق ، وإثاره بما يمتع المتلقي ، مثلما اعتمد في إيراد تلك الاحداث من مرجعيات عدّة تتمثل في المرجعية السياسية ، والمرجعية الدينية، والمرجعية الاجتماعية.

([1]) رواية مسالك الأبصار : نومهِ .

([2]) رواية أنباه الرواة : موقورة .

([3]) رواية وفيات الأعيان وأنباه الرواة ومسالك الأبصار: رجلِ .

([4]) تراجم الأدباء :39 .معجم الأدباء : 4\87 ، وفيات الأعيان : 3\295 ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي : 2\266 ، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار : 5\97 ، ونور القبس ، اليغموري : 105.

([5]) تراجم الأدباء : 39.

الفصل الثاني

أُسس الاختيارات الشعرية

المبحث الأول

الأســاس المـوضوعـي

اتَّبَعَ البغداديّ في اختياراته الشّعريّة الّتي انتقاها في كتابه "تراجم الأدباء" عامل الموضوع، ومن هذه الموضوعات، الغزل، والمديح، والرّثاء، والهجاء، والوصف، والحكمة، ونجده يميل إلى الغزل والمديح كثيرًا، ولعل كثرة استشهاده بهذين الغرضين، يعود إلى كثرة ورودهما في دواوين الشّعراء، أو لمحبّته لهذين الغرضين دون غيرهما.

وسنقوم هنا بدراسة الموضوعات الشّعريّة التي كانت عليها اختياراته وكثرة ورودها، مثلما موضّح في الجدول الآتي:

جدول رقم (1)

الأغراض الشّعريّة وعدد مرّات ورودها ونسبتها المئويّة

ت	الغرض الشعري	عدد مرات وروده	النسبة المئوية
.1	الغزل	103	%27.17
.2	المديح	75	%19.78
.3	الحكمة	51	%13.45
.4	الرثاء	33	%8.70
.5	الهجاء	31	%8.17
.6	الوصف	29	%7.65
.7	الإخوانيات	27	%7.12

.8	الشكوى	23	%6.06
.9	الخمريات	4	%1.05
.10	الفخر	3	%0.79
	المجموع	379	%100

1-الغزل:

الغزل من الأغراض الشّعريّة المحبّبة إلى النّفوس، بل هو أشهرها، وأكثرها رواجًا، وإمتاعًا في الأدب العربيّ في العصور جميعًا [1]، لذا نجده يدخل في الأغراض الشّعريّة الأخرى، ليكون مقدّمة حسنةً لبعض هذه الأغراض، وكثيرًا ما يفرّق النقّاد بين مصطلحات الغزل والنسيب والتشبيب الذي يُراد الدّقّة في تحديد مفهوم هذا المصطلح، فالغزل إنّما هو: ((تحديث الفتيان الجواري، والتّغزّل: تكلف ذلك))[2]، والنسيب يعني: ((ذكر الشّاعر خَلْق النّساء، وأخلاقهنّ، وتصرّف أحوال الهوى به معهنّ)) [3]، وأما التّشبيب فيعني: ((إظهار محاسن المرأة وجمال مفاتنها وخفّة روحها)) [4]، بينما يرى ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) أنّ ((النّسيب والغزل والتّشبيب كلّها بمعنى واحد))[5]، فيمكن أن نعدّها بمعنى واحد إلّا أنّ الغزل هو الأمثل،

([1]) ينظر: الغزل في الشعر العربي: 5.

([2]) المخصص: 4\54.

([3]) نقد الشعر: 42.

([4]) المعجم الأدبي، جبور عبد النور: 186.

([5]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 2\117.

والأكثر شيوعًا، وتداولًا من بين المصطلحات الثلاثة، ولذلك كثيرًا ما نجد أنّ إحداها يقع مكان الآخر.

وتصدر الغزل باقي الأغراض الشّعريّة الأخرى في اختيارات المؤلف، لأهميته، وكثرة وروده في نصوص الشعراء، وسار المؤلف في اختياراته الغزلية مسارًا دينيًا، فكان يختار العفيف منها، ويبتعد عن الغزل الفاحش حتى إنَّ غزل الغلمان جاء قليلًا جدًا[1].

وكانت مضامين الغزل التي عرج إليها المؤلف في اختياراته الشعرية، تصبُ في المعاني المعروفة في الغزل العذري من صبابة، ووجد، وهيام، وشوق، ومن ذلك قول المنازي (ت437هـ)[2]: (الوافر)

لقد عرضَ الحمامُ لنا بسجعٍ ... إذا أصفى له رَكبٌ تَلاحا

سَجَا قلبُ الخَليّ فَقيل غنّي ... وبرّح بالسّجيّ فقيل باحا[3]

وكم للشوقِ في أحشاء صَب ... إذا اندملتْ أجدْ له جِراحا

ضعيفُ الصّبرِ عنكَ وإن تقاوى[4] ... وسكرانُ الفؤادِ وإن تَصاحا[5]

([1]) ينظر: تراجم الأدباء: 53، 90، 135.

([2]) المَنَازي، أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب، كان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء وزّر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين، وديار بكر، وكان فاضلًا شاعرًا كافيًا، وترسل إلى القسطنطينية مرارًا وجمع كتبًا كثيرة، ينظر: تراجم الأدباء: 58.

([3]) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي: 5\174. ورواية شذرات الذهب:

لقد عرض الحمام لنا بسجعٍ ... إذا أصفى له ركبٌ تلاحى

شجى قلب الخلي فقيل غنّي ... وبرّح بالشجيّ فقيل ناحى. ولم يذكر سوى هذين البيتين.

([4]) رواية أنوار الربيع: تقادى.

([5]) رواية أنوار الربيع: تصاحى.

كــذاكَ بنــو الهـوى سَكَـرى صحــاة كأحــداق المهـا مَـرْضى صحاحا[2] [1]

في هذا النص جعل الشاعر مناجاته مع الحمام، فأدخل مشاعره مع مشاعر الحمام، فالحمام عندما سجع هيج مشاعرهُ، فشارك مشاعرهُ مع مشاعر الحمام.

ومن ذلك ايضا قول ابن دُرَيْد (ت321هـ): (الكامل)

غــراء أوجـلـت [3]الخــدود[4]شُعَـاعَها للشّـمس عنــد طُلـوعهـا لــم تشـرقِ
غُصْــنٌ علــى دِعْــصٍ تــأوّدَ فوقــه قمــرٌ تأَلّــقَ تحــت ليــلٍ مُطْبِــقِ
لَــو قيــل للحســنِ احـتكم لــم يَعْدُهــا أو قيــل خاطِــبْ غيرهــا لــم ينطــقِ
فكأننــا[5]مــن فرعهــا فــي مَغْــربٍ وكأنَّنــا مــن وجههــا فــي مشــرقِ
تبــدو فيهتـفُ [6]بالعيــونِ [7]ضيــاؤها الوَيــلُ حــلَّ بمُقلــةٍ لــمُ تطبـقِ[8]

([1]) نسب هذه المقطوعة لأحمد بن مروان الكردي، ينظر: تراجم الأدباء: 61، وهو خطأ والصواب للمنازي، ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب:5\174، وأنوار الربيع في أنواع البديع: 70.

([2]) رواية أنوار الربيع:

لقد عرض الحمام لنا بسجع إذا أصفى له ركب تلاحى
شجى قلبي الخلي فقيل غني وبرّح بالشجي فقيل ناحا

([3]) خطأ والصواب: لَوْ جَلَتِ.

([4]) رواية الديوان: الخُدُورُ.

([5]) رواية الديوان: وكأننا.

([6]) رواية الديوان: فَيَهْفُو.

([7]) رواية الديوان: للعيون.

([8]) تراجم الأدباء: 357، وديوان ابن دريد: 46.

ووصف شكل الحبيبة من المعاني التي تطرق إليها المؤلف في اختياراته، ومن ذلك قول ابن خفاجة (ت533هـ): (الكامل)

مـــا للعـــذارِ كـــان[1] وَجْهُـكَ قِبْلَـــةٌ قـــد خَـــطَّ فيـــه مـــن الدُّجـــى مِحْرابا
وارى الشـــبابُ[2]وكـــان لـــيس بخاشـــعٍ قـــد خَـــرَّ فيـــه راكعـــًا وأنابَـــا
ولقـــد علمـــتُ بكـــونِ ثَغْـــرِكَ بـــارِقـــًا أن ســـوفَ يُزجـــي للعِـــذار ســـحابا[3]

أما غزل الغلمان فكان نادرًا جدًا في منتقياته، ولا يشكل ظاهرة في اختياراته، ومن ذلك قول أبو حاتم (ت248هـ)[4]: (مجزوء الخفيف)

أبـــــرزوا وجـــهَـــــه الجميـــــل ولامـــــــــوا مَـــــــــنْ افَتتَـــــنْ
لـــــــــوأرادوا عَفـــافَنـــــــــا سَـــــتروا وَجهـــــه الحَسَـــــنْ[5]

2-المديح:

المديح من الأغراض القديمة، فهو((تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا، وعرفوا

([1]) رواية الديوان: وكان.

([2]) رواية الديوان: وإذا الشباب.

([3]) تراجم الأدباء: 213، وديوان ابن خفاجة: 33.

([4]) أبو حاتم، سهل بن محمود بن عثمان بن يزيد الجُشَمي السجستاني النحوي اللغوي المقرئ نزيل البصرة، وعالمها، كان إمامًا في علوم الآداب، ينظر: تراجم الأدباء: 51.

([5]) تراجم الأدباء: 53. بغية الوعاة، السيوطي: 1\607 رواية البيت:

لَو أرَادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن. البداية والنهاية، ابن كثير: 11\6 رواية البيت فيه:

لو أرادوا صيانتي ستروا وجهه الحسن. وفيات الأعيان: 2\430.

بمثل تلك الشمائل))[1] طرقه أغلب الشعراء باختلاف العصور الأدبية، وكان له الصدارة في دواوينهم الشعرية، ولهذا ((لا يجد أي شاعر مهما اختلفت العصور الشعرية، غنى عن تراث من سبقه من الشعراء في تعداد وابراز صفات الممدوح))[2]، واصطبغ المديح بصبغة اجتماعية تمثل نظرة الناس في بلورة المثل العليا، وحض الناس على الاتجاه نحوها من خلال الصفات الايجابية التي يضيفها المادح على ممدوحه فهو ((تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثالية، ومزايا إنسانية رفيعة، يتحلى بها شخص من الأشخاص)) [3]، ومن أهم هذه الصفات ما أشار إليه قدامة بن جعفر (ت337هـ) في قوله: ((إنه لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك، إنما هي العقل والشجاعة والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الصفات مصيبًا، والمادح بغيرها مخطئًا))[4].

ومن أبيات المديح الّتي أوردها المؤلف قول الصاحب بن جمال الدين بن مطروح (ت659هـ)[5]

([1]) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة: 5.

([2]) تاريخ الشعر في العصر العباسي، د. يوسف خليف: 93.

([3]) المعجم المفصل في اللغة والأدب: 1\1133.

([4]) نقد الشعر: 20.

([5]) جمال الدين بن مطروح، أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم إبراهيم بن مطروح، من أهل الصعيد مصر، ونشأ هناك، وتنقلت به الأحوال في الخدم والولايات، واتصل بخدمة الملك الصالح أبي الفتح أيوب، ينظر: وفيات الأعيان: 7\139.

في مدح الملك صلاح الدين (ت656هـ)[1]: (السريع)

ثـــلاثـــــة ليـــس [2]رابـــــعُ عليـهـــم معتمـــــدُ الجـــــودِ

الغيـــثُ والبحـــرُ وعـزَزهُمـــا بالمـــــلكِ النـاصـــــرِ داودِ[3]

فالشاعر في هذا النص يقول بأنه ثلاثة معتمدين عليهم بالجود المطر، والبحر، والملك داود وأن جودهم كبير، ولا رابع له.

ومن الأبيات الّتي انتقاها البغداديّ في المديح قول البحتري (ت280هـ) في مدح ابن الزيات (ت233هـ): (الخفيف)

وأرى الخلـــقَ[4] مجمعـيـــنَ علـــى فضـــلكَ مـــن بيـــن سَيـد ومســـودِ

عـــرفَ العـالمـــونَ فضـــلكَ بالـــ عِلْـــمِ وقـــال الجُّهـــالُ بالتقليـــدِ[5]

ومن ذلك ايضا ما ذكره المؤلف في المديح قول سلم الخاسر[6]، في مدح يعقوب بن داود داود (ت145هـ)[7] بعد ما نال منزلة عظيمة عند الخليفة المهدي (ت169هـ): (السريع)

([1]) هو داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدّين أبو المفاخر وأبو المظفر، ابن السلطان الملك المعظم، ابن السلطان الملك العادل. ولد في دمشق سنة (ت603هـ) وتفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، ينظر: تراجم الأدباء: 69.

([2]) خطأ والصواب: ليس لهم رابع.

([3]) تراجم الأدباء: 72، وديوان ابن مطروح: 125.

([4]) رواية الديوان: الناس.

([5]) تراجم الأدباء: 77، وديوان البحتري: 1\638.

([6]) هو سلم بن عمرو بن حماد الحميري. اتهم بالجنون والزندقة واتصل ببعض الخلفاء إلاّ أن هارون الرشيد رفض الاستماع إليه ولم يثبه، ينظر: سير أعلام النبلاء: 8\194.

([7]) أبو عبد الله، يعقوب بن داود بن عثمان بن عمر بن طهمان السلمي بالولاء، مولى أبي صالح عبد الله بن بن حازم والي خراسان، ينظر: تراجم الأدباء: 107.

قــلْ للإمــام الــذي جَــاءتْ خلافتــُهُ تهــدي إليــه بحــقٍ غيــرَ مــردُودِ
نعْـمَ القـرينُ علـى التقـوى أُعِنـتَ بـهِ أخــوكَ فــي اللهِ يعقــوبَ بــنَ داودِ[1]

ومن أبيات المدح الّتي وردت مدح ابن عمار (ت477هـ) المعتضد بن عبّاد (ت461هـ) بالكرم والجود بقوله: (الكامل)

مــلكٌ إذا ازدحــمَ الملــوكُ بمــوردٍ ونحــاه لاَ يــرِدون حتــى يصــدُوا
وأنـدى علـى الأكبـاد مـن قطـرِ النـدى وألــذّ فــي الأجفــانِ مــن سـنَة الكَـرى
قــدّاح زنــدِ المجــدِ لا ينفــكُّ مــِن نــارِ الوغــى إلاّ إلــى نــارِ القِـرى[2]

فالشاعر في هذا النص عبر عن مجموعة من العواطف والافكار. فالملك يتمتع بصفات هي مزيج من اللطف، والطيبة، وكرم النفس وغير ذلك مما نحسه حين قراءتنا لهذه الأبيات الّتي لم يجد الشاعر السبيل لتصويرها الا بهذا الأسلوب الجميل المعبر

ومن ذلك أيضًا مدح الشريف الرضي (ت406هـ) للخليفة العباسي القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر (ت422هـ): (الكامل)

عطفــًا أميــرَ المؤمنيــنَ فإنّنــا فــي دوحــة العليــاء لا نتفــرّقُ
مــا بيننــا يــومُ الفَخــارِ تفــاوتٌ أبــدًا كِــلانا فــي المعالــي مُعْـرِقُ
إلاّ الخــلافةَ مَّيزْتــكَ فـإنّنــي[3] أنــا عاطــلٌ منهــا وأنــتَ مَطـوَّقُ[5][4]

([1]) تراجم الأدباء: 109، وديوان سلم الخاسر: 99.

([2]) تراجم الأدباء: 218، ومحمد بن عمار الأندلسي، د. صلاح خالص: 34.

([3]) رواية الديوان: وإنني.

([4]) تراجم الأدباء:225، وديوان الشريف الرضي: 2\40.

([5]) رواية الديوان: مُطَوَّقُ.

وترى الباحثة أن أغلب أشعار المدح التي أوردها المؤلف محدودة المعاني، كالكرم والفضل، والجود، قد يكون الغرض منها التقرب إلى السلطة الحاكمة آنذاك، فغلب عليها طابع المبالغة في الوصف.

3 – الحكمة:

عرف العرب هذا الغرض منذ القدم لما لهم: ((من صدق الحسّ وصواب الحدس وجودة الظن وصحة الرأي ما لا يعرف لغيرهم)) [1]، وهي: ((ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم، والماضين ومصائرهم، وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته، ثم إحساس دقيق بالحياة))[2].

والحكمة تعكس أدب الشعوب، وتقاليدها، وديمومتها النابضة بالحياة، وهي ((تهدف إلى النصح والإرشاد والموعظة وتأتي تعبيرًا عن تجربة ذاتية، وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة))[3]، وهي غالب ما تميل نحو الإيمان والدقة، فتبدو وكأنها مثل يتناقله الناس لما فيه من عبرة، ووعظ، وإرشاد، ونصح، وهداية [4]، لذلك استوعبتها صدور الناس، وجرت على ألسنتهم وتناقلتها الأجيال جيل بعد جيل؛ لأنها: ((قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة ويتضمن حكمًا مسلمًا في أمر بخير أو نهي عن شر)) [5].

([1]) الحور العين، لأبي سعيد بن نشوان الحميري (ت573): 217.

([2]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري: 403.

([3]) الحكمة في الشعر العربي، سراج الدين محمد: 5.

([4]) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: 416.

([5]) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي: 147.

وتنوعت مضامين شعر الحكمة في اختيارات المؤلف، فمنها ما يخص طلب العلم، وأهميته، والحث على طلبه، وهذا ما تحقق في قول ابن السيد (ت521هـ)[1]: (الطويل)

أخــو العلــم حــيٌ خــالــدٌ بعـد موتــهِ وأوصـــالُهُ تحـــتَ التـّــرُابِ رميـــــمُ
وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظَـــنُ مـــن الأحيـــاءِ وهـــو عَديـمُ [2]

وللاستقامة قيمة رفيعة لدى المؤلف، وهذا ما أورده في قول ابن زبادة (ت594هـ) [3]: (الكامل)

إن كنتَ تسعى للسعادةِ[4] فاستقـم تَنَلِ المرادَ ولو سَمَوْت إلى السَّمـــا [5]
ألفُ الكتابةِ وهو بعضُ حروفها لما استقامَ على الجميعِ تَقَدّما[6]

([1]) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيّد البطليوسي النحوي، كان عالمًا بالآداب واللغات متبحرًا في معرفتهما، سكن مدينة بلنسية وكان الناس يجتمعون إليه ويقرؤون عليه، وكان حسن التعليم جيد التفهيم، ألف كتبًا نافعة منها كتاب المثلث، ينظر: تراجم الأدباء: 57.

([2]) تراجم الأدباء:58. وفيات الأعيان: 3\96، وتحقيق الفوائد الغياثية، شمس الدين الكرماني: 2\631، وسير أعلام النبلاء: 19\533، وأنوار الربيع في أنواع البديع: 399، وتفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: 1\373.

([3]) أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن زبادة الشيباني، الكاتب المنشي الواسطي، الأصل، البغدادي المولد والدار والوفاة، خدم الديوان من صباه إلى أن توفي، وكان مليح العبارة في الإنشاء، ينظر: تراجم الأدباء: 168.

([4]) رواية المحاضرات والمحاورات: السيادة.

([5]) رواية البيت في معجم الأدباء: تنل المراد وتغدو أول من سما

([6]) تراجم الأدباء: 169.وفيات الأعيان: 6\246. المحاضرات والمحاورات: 1\177. معجم الأدباء: 5\623. رحلة الشتاء والصيف، محمد كبريت المدني: 95.

في هذا النص استوحى الشاعر من شكل حرف الألف، فكرة شاعرية تعبر عن الاستقامة، فمن استقام استحق التقدم، دون اعتبار لعامل الزمن.

ومن معاني الحكمة الّتي أوردها البغداديّ، طلب الرزق وتمثّل ذلك في قول الشاعر عروة بن أذينة (ت130هـ)[1]: (البسيط)

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقي ... أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

وأسعى له فيعيني تَطَلَبُه ... ولو قَعَدْتُ أتاني لا يُعَنيني[2]

في هذه النتفة يقصد الشاعر أنه ليس من المسرفين، وأن الرزق المقسوم له لابد له أن يأتي، وأن السعي للرزق هو الّذي يعين المرء.

ومن مضامين الحكمة الّتي أوردها المؤلف، في القناعة قول مهيار الديلمي (ت428هـ): (الكامل)

يُلحى على البخل الشحيح[3] بماله ... أفلا تكونُ بماء وجهك أبخلا

أكرمْ يديكَ عن السؤالِ فإنّما ... قدرُ الحياةِ أقلُّ مِنْ أن تسألا

ولقد أضمُّ الي فضلِ قناعتي ... وأبيتُ مشتملًا بها متزمّلا

وأُري العدو[4]على الخصاصة شارةً ... تصفُ الغني فيخالني مُتموّلا

وإذا آمرؤ أفنى الليالي حسرةً ... وأمانيًا أفنيتّهن توكُّلا[5]

([1]) أبو عامر، يحيى بن مالك بن الحارث الليثي المدني الحجازي الكناني، شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة المنورة، وهو من الفقهاء والمحدثين، ينظر: الشعر والشعراء: 2\564.

([2]) تراجم الأدباء:197، وديوان عروة بن أذينة: 327.

([3]) رواية الديوان: الضنينُ.

([4]) رواية الديوان: وأُرى الغدو.

([5]) تراجم الأدباء: 241، وديوان مهيار الديلمي: 3\138.

وللحكمة مضامين أخرى بعضها جاء، لغرض النصح والإرشاد، وهذا ما جاء في قول أحمد بن فارس (ت390هـ)[1]: (مجزوء الكامل)

أسمـــــعْ مقـالـــــةَ نـاصـــــحٍ جـمـــــعَ النصيحـــــة والمِقَـــــه
إيـــــاك واحـــــذرْ أن تبيـــــتَ[2] مـــــن الثُقـــاتِ علـى ثقـــة[3]

ومن الأبيات الّتي انتقاها المؤلف، في الوعظ، وتذكير بنهايته كل إنسان، وحتمية نزول الموت عليه وهذا ما جاء في قول الجاحظ (ت255هـ): (المتقارب)

وكـــان لـنا أصدقـــاءٌ مضـــوا تفانـــوا جميعـــًا فمـــا خَلَـــدوا
تساقـــوا جميعـــًا كـــؤوس المنـــونَ فمـــاتَ الصـديـقُ ومـــاتَ العـدو[4]

وبهذا مثلت أبيات الحكمة الّتي انتقاها البغداديّ أفكاره، وما أمن به عبر تلك الاختيارات وكانت مستمدة من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف لتكون حكمة إنسانية تناسب كل عصر وغير مقتصرة على زمن معين، ولا يظهر فيها إلا الصدق النفسي المعبر عن تجربة إنسانية خالصة.

4 – الرثاء:

وكان الرثاء حاضرًا في اختيارات المؤلف، واستشهد به (33) مرة، يرجع أغلبها إلى العصر العباسي، والرثاء من الفنون الأصيلة في الأدب العربي، وهو((ذكر مناقب الميت ومآثره ومفاخره، ووصف الحزن عليه والجزع لفقده، وبيان مكانته في قومة وأثره في مجتمعه الذي كان

([1]) هو أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إمامًا في علوم شتى وخصوصًا اللغة، وله كتاب حلية الفقهاء، وكان مقيمًا بهمدان، ينظر: تراجم الأدباء: 331.

([2]) رواية يتيمة الدهر: تكون

([3]) تراجم الأدباء: 331.معجم الأدباء: 1\414. يتيمة الدهر: 4\330. وفيات الأعيان: 1\118.

([4]) تراجم الأدباء:275، وشعراء بصريّون من القرن الثالث الهجري، تحقيق جابر المعيبد: 82.

يعيش فيه))[1]، وقد حَظي الرثاء بعناية كبيرة من لدن الشعراء عبر العصور المختلفة؛ لأنه أصدق عواطف الإنسان تعبيرًا، وأجلها تصويرًا، ولأنّه ينطلق من مكنونات النفس البشرية معبّرًا عن مقصد الشاعر بلغةٍ تتّسمُ باللوعة والحزن والحرقة، وفيه لوعة صادقة وحسرات أخرى.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الرثاء مرة يخرج بصيغة الندب ((وهو بكاء ونواح على الميت بألفاظ مؤلمة كثيرة الحزن)) [2]، ومرة بصيغة التأبين وهو ((ضرب أخر من الرثاء يتخذ شكل الثناء على الميت فيذكر فضائله ويعدد محاسنه))[3] .

ومن اختيارات البغداديّ في الرثاء قول ديك الجن (ت235هـ)[4] في رثاء أبي تمام (ت231هـ)[5]: (الكامل)

فُجِــعَ القــريضَ[6] بخــاتمِ الشعــراءِ وغَـديـرِ رَوضَتِهــا حبــيبِ الطَّــائي

مــــاتا معــًا وتجــاورا[7]فــي حفــرةٍ وكَــذَاكَ كـانـا قبـلُ فــي الأحيــاءِ[8]

([1]) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي: 316.

([2]) أدب العرب في عصر الجاهلية، د. حسين الحاج حسن: 144.

([3]) المصدر نفسه: 145.

([4]) هو أبو محمد، عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن، الشاعر المشهور، وُلد وتُوفي في حمص بسوريا، ويرجع أصله إلى مدينة سلمية بالقرب من حماة، ينظر: وفيات الأعيان: 3\184.

([5])وقد نسبهما إلى الحسن بن وهب، ينظر: تراجم الأدباء 34، وفيات الأعيان، نسبهما إلى الحسن بن وهب ينظر: 2\499، ثم نسبهما لديك الجن: ينظر: وفيات الأعيان: 3\184.

([6]) خطأ والصواب: القَرِيضُ.

([7]) رواية الديوان: فَتَجَاوَرا.

([8]) تراجم الأدباء: 34، وديوان ديك الجن الحمصي: 251.

هنا الشاعر يتحدث عن موت الشعر ونهايته، وأن الشاعر الراحل هو خاتم الشعراء والمبدعين، وبموته موت الشعر وختامه.

ومما أورده أيضا رثاء سليمان بن يزيد العدوي [1] لسيبويه (ت177هـ): (الكامل)

ذهــبَ الأحبــةُ بعــدَ طــولِ تــزاور ونــأى المــزارُ فأســلموكَ وأقشــعوا

تركــوك أوحــشَ مــا تكــونُ بقُفْــرَة لــم يــؤنسوك وكــربةً لــم يــدفعوا

قُضيَ[2] القضاءُ وصِرتَ صاحب خُفرةٍ عندَ [3]الأحبةِ أعرضوا وتصدّعوا[4]

في هذا النص الشاعر يوجه خطابًا إلى الميت، ويقول له ذهب الأحبة بعد ما كانوا يزورونا ويزورونهم، وتركوك في القبر ورحلوا، والمزار صار بعيدا.

ومما اختاره في الرثاء مقطوعة من قصيدة عمارة (ت569هـ)[5]في رثاء الفاطميين: (البسيط)

رميتَ يـا دهــرُ كــفَّ المجـد بالشـلَلِ ورَعَثْــهُ [6]بعـد حُسـنِ الحِلْـي بالعَطَـلِ

قَدِمْــتُ مِصـرَ فــأولتنـتي خـلائفهــا مِــنَ المــكارِمِ مـا أربـى علـى الأَمَـلِ

قومــًا عرفـتَ بهم كسبَ الألوفِ ومِـن تمامهــا أنهــا جــاءتْ ولــم أسَــلِ [7]

([1]) لم أجد له ترجمة.

([2])خطأ والصواب: قضي.

([3]) خطأ والصواب: عنك.

([4]) تراجم الأدباء:94. وفيات الأعيان: 3\464. تاريخ الإسلام: 11\157.

([5]) أبو محمد عَمَارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكمي اليمني الملقب بنجم الدين الشاعر المشهور، ولد في قحطان، ورحل إلى زَبيد، وأقام بها يشتغل بالفقه في بعض مدارسها مدة أربع سنين، وكان فقيهًا شافعي المذهب، وأديبًا ماهرًا، وله مؤلفات منها كتاب أخبار اليمن، ينظر: تراجم الأدباء: 125.

([6]) رواية عقد الجمان والوافي بالوفيات: وجيدهُ.

([7]) رواية عقد الجمان: كما لها أنَّها جاءت ولم أسلِ.

يـا عـاذلـي فـي هَـوَى أبنـاءِ فاطمـة ... لـك الملامـة إنْ قَصّـرتُ فـي عَذَلـي
بـاللهِ زُرْ سـاحـةَ القصـرينِ وابـكِ معـي ... عليهمـا لا علـى صِفيـّنَ والجَمَـلِ
مـاذا تـرى كـانتِ الإفرنـجُ فـاعلـةً ... بنسـلِ آلِ أميـرِ المـؤمنينَ علـي
هل كان في الأمرِ شيءٌ غيرِ قسْمَةَ ما ... ملكـتمْ بـين حُـكْـمِ السَّبـي والنفـلِ[1]

5- الهجاء:

الهجاء غرض شعري عرفه الشعراء منذ القدم، وشغل حيزًا كبيرًا في دواوين الشعر العربي، وهو((تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص يكرهه أو جماعة تبغضها وتنتقم منها))[2]، ففي ((الهجاء نرى الشاعر يرسم لخصومه الأنموذج القبيح، فيصفهم بكل صفات القبح، ويسلبهم كل الصفات الفاضلة أو بعضها))[3]، إذ كانت الآثار الفنية، ومنها الهجاء إفراغ إفراغ طاقة عاطفية [4]، فإن الشاعر يلجأ إليه ليعبر عما يجول بنفسه، نحو شخص من الأشخاص، أو جماعة من الجماعات، وقفوا معه موقف لا يرضاه، فيجد نفسه غاضبًا ثائرًا فيضطر أن يخفف عن طريقه ما يحسه في أعماقه، من ألم مبرح يشعر به نحو من آذاه فيحاول إيذاءه وإيلامه بكل ما يتنافى مع الفضائل المعنوية الّتي تعارف عليها العرب منذ أمد بعيد، وامتدحوا بها كالكرم، والوفاء، والشجاعة، وغير ذلك من القيم الفاضلة الّتي كانوا يقيمون لها وزنًا كبيرًا في حياتهم؛ لأنها كانت تدلُ على مكارم أخلاقهم، ويفهم من هذا أن الهجاء يسلب الفضائل النفسية، والقيم الخلقية، ولكن يبقى الهجاء المبني على الصدق في الحقيقة والعفة في

([1]) تراجم الأدباء: 127.عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين العيني: 1\82. إحقاق الحق، السيد المرعشي: 9\700. الوافي بالوفيات: 17\368.

([2]) أدب العرب في عصر الجاهلية، د. حسين الحاج حسن: 138.

([3]) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: حسني عبد الجليل: 99.

([4]) ينظر: علم النفس والأدب، سامي الدروبي: 123.

القول يحظى بتصديق الناس، وانتشاره، وإذاعته بينهم ومكوثه طويلًا فيهم[1]، والهجاء يسهم في كشف العيوب الّتي يذم الأفراد بسببها، وهو بذلك ينبه هؤلاء الأفراد بشكل غير مباشر، إلى تجنب هذه العيوب، ليكُونوا في مأمن من رمي الهجّائيين، وطعنهم، ففي فن الهجاء، إحصاء للعيوب والمثالب، وهي في حقيقتها مثالب المجتمع وعيوبه، فهو في الظاهر هجاء، وفي الحقيقة إصلاح، وتهذيب، وتقويم لكل اعوجاج في المجتمع سواء ما اتصل بالفرد، أو بالجماعة [2]، ولا يعني ما تقدم أن الهجاء العربي عامة كان في غاية إنشاده الإصلاح، والتهذيب، والتقويم، فليس من شك في أن جانبًا من هذا الهجاء صدر، عن نفوس حاقدة لئيمة، تتميز بالأنانية المظلمة، وأكثر ما تتجلى هذه الأنانية في الهجاء ذي الدوافع الفردية البحتة، على أن جانبًا من هذا الهجاء ذو هدف غايته التنبيه، والتوجيه، والبناء الاجتماعي الصالح.

وقد عرف المؤلف ما لهذا الفن من تأثير في النفوس فاستشهد به (30) مرة، ومن الأبيات الّتي ذكرها البغداديّ هجاء البَسّامي (ت302هـ)[3] لأبيه: (الخفيف)

هَبْـكَ عُمّـرْتَ عُمـر عشـرين نسـرًا ... أتـرى أنـي [4] أمـوتُ وتبقـى

فلـئنْ عُشـتُ بعـد مـوتِكَ يومـًا ... لأشُقّـنَ جَيـبِ مـالـكَ شَقـا[5]

وأما مضامين الهجاء التي طرقها المؤلف، في اختياراته الشعرية في الهجاء، كانت أغلبها ذات دلالات شخصية، موجه إلى شخصية معينة الغرض منها الحط من شأن المهجو

([1]) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: 27.

([2]) ينظر: فصول في الشعر ونقده، شوقي ضيف: 210.

([3]) أبو الحسن، علي بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسّام، كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء، لسانًا مطبوعًا في الهجاء، وله عدد من المؤلفات منها، أخبار الأحوص، توفي سنة302هـ، ينظر: تراجم الأدباء: 87.

([4]) خطأ والصواب: أنني.

([5]) تراجم الأدباء:87، وديوان ابن بسام البغدادي: 51.

بمعنى أنها قيدت بزمن معين، وهي بذلك فقدت صفة الشمولية، فلم يكن الغرض منها إصلاح وتهذيب ومعالجة قضايا في المجتمع.

ومن أمثلة ذلك، قول بشار بن برد (ت168هـ) في حمّاد عجرد (ت161هـ): (الطويل)

إذا جئتـهُ فـي الحـيّ[1] أغلـقَ بابـهُ فلـم تلقـهُ إلا وأنـت كَمـينُ
فقـل لأبـي يحيـى متـى تبلـغ العُـلا[2] وفـي كـلّ معـروفٍ عليـك يمـينُ[3]

ومن الأمثلة الّتي انتقاها المؤلف في الهجاء، قول المعافى بن زكريا (ت390هـ) في هجاء الزمان والناس: (الوافر)

أأقتـبس الضـياءَ مـن الضّـباب وألـتمسُ الشـرابَ مـن السـرابِ
أريـدُ مـن الزمـانِ النـذلِ بـذلًا وأريـا مـن جنـي سَلَـعٍ وصـابِ
أرجـّي أن ألاقـي لاشتياقـي خيـارُ النـاسِ فـي زمـن الكـلابِ[4]

ومن الأبيات الّتي أوردها في الهجاء قول الشاعر[5] في هجاء الفضل بن مروان (ت250هـ) وزير المعتصم (ت227هـ): (الطويل)

تَفَرْعَنْـتَ يـا فضـلُ بـن مـروان فـاعْتَبِرْ فقبْلـكَ كـانَ الفضـلُ والفضـلُ والفضـلُ

([1]) رواية الديوان: في الخلق.

([2]) رواية الديوان: فقل لابي يحيى متى تُدرِكِ العُلَى.

([3]) تراجم الأدباء:103،وديوان شعر بشار بن برد: 221.

([4]) تراجم الأدباء:151. الكنى والألقاب: 3\274. طبقات الفقهاء، أبو اسحاق الشيرازي: 1\93. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح: 7. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي: 680.

([5]) لم يذكر اسم الشاعر، والأبيات لدعبل الخزاعي، ينظر: تراجم الأدباء: 152.

ثـــلاثةُ أمـــلاكٍ مَضَـــوْا لسبيلِهـــم أبـادتهـمُ الأقيـــاد والحبـــسُ[1]والقتـــلُ
وإنـكَ قـد أصـبحتَ فـي النـاسِ ظالمًـا سَتُودي كمـا أودى الثلاثـةُ مـن قبـــلُ[2]

هنا الشاعر يصفه بالجبروت، والطغيان، ويذكره بمصير وزراء حملوا نفس اسم (الفضل)، وما آل إليه مصيرهم، وهم كل من الفضل بن يحيى وزير هارون الرشيد، الذي مات في سجنه سنة (193هـ)، والفضل الثاني وهو الفضل بن ربيع وزير محمد الأمين الذي مات متوارٍ عن الأنظار سنة (208هـ)، والأخير الفضل بن سهل وزير المأمون الذي مات مسمومًا سنة (202هـ).

6- الوصف:

يعد الوصف أحد الفنون البارزة والأساسية في الشعر العربي منذ أقدم عصور الأدب عند العرب، وهو ((تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلًا يصل بك إلى الأعماق))[3]، إذ إن الشاعر ((لا ينظر إلى هذا العالم من منطلق كونه إنسانًا فقط، وإنما بوصفه مُبدعًا يواجه عالمه بشكل فنّي))[4]، فهو يصوّر كل ما يشاهده، ويسمعه، ويحسّه، وفقًا لرؤيته الخاصة المتميّزة، لهذا شغل الوصف حيزًا بارزًا من دواوين الشعراء، لأن ((الوصف هو عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف))[5].

([1]) رواية سير أعلام النبلاء: الذل.

([2]) تراجم الأدباء: 229.الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء، فهد بن عبد الرحمن: 2\70. وفيات الأعيان: 4\45. سير أعلام النبلاء، الذهبي: 12\84.

([3]) الوصف في الشعر العربي، عبد العظيم علي قناوي: 1\42.

([4]) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: 414.

([5]) الوصف في الشعر العربي: 43.

وأورد البغداديّ الوصف (29) مرة، ومن أبيات الوصف الّتي انتقاها قول البَبَّغَاء (ت398هـ) في وصف ركض الخيل: (الكامل)

وكـــأنما نقشـــت حـوافـــرُ خيلـــهِ ... للنـاظـريـــن أهلـــه فـــي الجُّلمـــدِ
وكـــأن طَـــرْفُ الشـــمسِ مطـــروف ... وقـد جعـلَ الغبـار لـه مكـان الاثمـدِ[1]

ومن الأمثلة الّتي أوردها في الوصف قول ابن الساعاتي (ت602هـ): (الكامل)

للهِ يـــومٌ فـــي سيـــوطَ وليلـــةٌ ... صَـــرْفُ الزمـــان بأختهـــا لا يغلـــطُ
بتتـــا وعمـــرُ الليـــل فـــي غُلـــوائهِ ... ولـــهُ بنـــور البـــدر فـــرعٌ أَشمـــطُ
والطـلُّ فـي سـلكِ الغصـونِ كلؤلـؤ[2] ... رطـــب[3] يصـــافحهُ النســـيم فيسقـــطُ
والطـــير تقـــرأُ والغديـــر صحيفـــةٌ ... والريـــحُ تكتـــبُ والغَمامـــة تنقـــطُ[4]

ومن الأمثلة أيضًا قول ابن هاني الأندلسي (ت362هـ) في وصف الخيل: (الكامل)

وصـــواهلٌ لا الهَضْـــبُ يـــومَ مَغارهـــا ... هَضْـــبٌ ولا البِيـــدُ الحـــزونُ حـــزونُ
عُـــرِفَتْ بساعَـــةِ سَبْقِهـــا لا أنّهـــا ... عَلِقَـــتْ بهـــا يـــومَ الرِّهـــانِ عُيـــونُ
وأجـــلُّ عِلـــمِ البـــرق فيهـــا أنّهـــا ... مـــرّتْ بجانِحَتَيـــهِ وهـــي ظُنُـــونُ
فـــي الغيـــثِ شِـــبهٌ مـــن نَـــداكَ كأنّمـــا ... مسَـــحَتْ علـــى الأنـــواءِ منـــك يَمـــين[5]

([1]) تراجم الأدباء: 179، وشعر الببغاء: 292.

([2]) رواية ديوانه: كلؤلوء.

([3]) رواية ديوانه: نظْمٍ.

([4]) تراجم الأدباء: 215، وديوان ابن الساعاتي: 2\4.

([5]) تراجم الأدباء: 342، وديوان ابن هاني الأندلسي: 353.

ومن أبيات الوصف الّتي انتقاها قول ابن حَمْديس (ت527هـ) [1] في وصف نهر: (الطويل)

ومُطّـــرِدِ الأجـــزاءِ يصقـــل مَتْنـــهُ ... صـبا أعلنـتْ للعـينِ مـا فـي ضـميرِهِ
جـريحٌ بـأطراف الحَصـى كلّمـا جـرى ... عليهـــا شكـــا أوجـاعَـــهُ بِخَريـــرِهِ
كـــأن جبابـًا ريـــعَ تَحـتَ جَبَـابـــة[2] ... فأَقْبَـــلَ يُلقـــي نَفسَـــهُ مـــن[3]غَـديرِهِ
كـــأن الـــدُّجى خـــطُّ المجـــرَّةِ بَيَننـــا ... وقـــد كُلّلـــتْ حـــافتهُ[4] ببـــدورِهِ
شَـــرِبنا علـــى حافاتـــه دَوْرَ ســـكرة ... وأقْتَـــلُ سُـــكْرًا منـــه عَينـــا مُـــديرِهِ[5]

7- الإخوانيَّات:

يُمكن القولُ: إنّ الإخوانِيَّات لونٌ من ألوان الشعر، وجانب متميّز من جوانب الأدب تتمثّل فيه العواطف الإنسانيَّة في أصدق معانيها، وتتجلّى فيها المشاعر في أروع صورها، فتبرز العلاقات الإنسانِيَّة الّتي تُجسّد معاني الأخوّة والمحبّة المتبادلة بين بعضهم بعضًا، فتعكس شخصياتهم وثقافتهم [6]، وإنَّ هذا الأدب يُصوّر العلاقات الاجتماعيَّة بين الشّعراء وأصحابهم وأحبابهم، ففيه العتاب، والشّكوى، والفكاهة، والصّداقة والود، وما إلى ذلك من المعاني

([1]) أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر الصقلي المعروف بـ ابن حمديس الصقلي، ولد ونشأ في صقلية، ثم تركها ورحل إلى الأندلس سنة 471 هـ، وأقام فيها لفترة ثم انتقل إلى المغرب الأوسط وإفريقية حتى توفي في جزيرة ميورقة سنة 527 هـ، ينظر: وفيات الأعيان: 3\212.

([2]) رواية الديوان: كأنّ حُبَابًا ريع تحت حَبَابه.

([3]) رواية الديوان: في.

([4]) رواية الديوان: حافاته

([5]) تراجم الأدباء: 300، وديوان ابن حمديس: 168.

([6]) ينظر: المعجم المفصّل في اللغة والأدب: 1\57.

الاجتماعِيَّة الواسعة الّتي تربط بعض الناس ببعض[1]، وبتعبير آخر ((هي ما يتبادله الأدباء والكتّاب فيما بينهم من رسائل أو ما يجري بينهم من نوادر، ومداعبات شعريّة، وما الى ذلك)) [2]، وقد عرف الأدب العربي هذا الفن منذ القدم، ولم تحدد ملامحه إلا في بداية العصر العباسي [3]، وقد أورد المؤلف أشعارًا إخوانية، ومعاتبات دارت بين الشعراء، وكان عدد ورودها (27) مرة، ومن الأمثلة الّتي أوردها المؤلف في هذا الفن قول ابن رشيق (ت456هـ) [4]: (الوافر)

أحــبُّ أخــي وإنْ أعرضــتُ عنــه ... وقَــلّ علــى مســامعهِ كلامــي

ولــي فــي وجهــهِ تقطيــبُ راضٍ ... كمــا قَطبــتْ فــي وجــهِ[5] المــدامِ

ورُبَّ تقطّــبٍ مــن غيــرِ بُغْــضٍ ... وبُغْــضٍ كــان مــن تحــت آبتسامِ [6]

ومن مظاهر الرسائل الإخوانية الّتي أوردها المؤلف، في المعاتبة ما دارت بين الشّهاب محمود (ت725هـ)[7]

([1]) ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: 382.

([2]) أروع ما قيل في الإخوانيات: 5 – 6.

([3]) ينظر: الشعر في الكوفة: 159.

([4]) أبو علي الحسن بن رشَيق المعروف بالقيرواني، أحد الأفاضل البلغاء، له التصانيف المليحة منها كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، ولد سنة (390هـ)، وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد، توفي سنة (456هـ)، ينظر: تراجم الأدباء: 211.

([5]) رواية الديوان: إثْرِ.

([6]) تراجم الأدباء: 211،وديوان ابن رشيق: 158.

([7]) محمود بن سليمان بن فهد الشيخ الإمام العالم العلامة البليغ البارع شِهاب الدين، أبو الثناء الحلبي ثم الدمشقي، ولد سنة (643هـ)، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق، توفي بدمشق سنة (725هـ)، ينظر: تراجم الأدباء: 350.

والشيخ علاء الدين علي بن غانم(737هـ) [1]، إذ عاتبه الشّهاب محمود (ت725هـ) وقال له: ((بلغني أن جماعة ديوان الإنشاء يذمونني وأنت حاضر))[2]، فكتب إليه علاء الدين (ت737هـ): (الطويل)

ومــن قــال إن[3] القــومَ ذمّــوكَ كــاذبٌ ... ومــا مِنــكَ إلا الفضــلُ يوجــدُ والجــودُ

ومــا أحــدٌ إلا لفضــلِكَ حامــدٌ وهــل ... عــبء[4]بــين النــاس أم ذم محمــودُ[5]

فكتبَ إليه الشّهاب محمود (ت725هـ) أبيات منها: (الطويل)

علمــت بأنــي لــم أذم بمجلــس ... وفيــه كــريمُ القولِ مثلكَ موجودُ

ولست أُزكي النفسَ إذ ليس نافعي ... إذا ذمّ مّني الفعلُ والاسمُ محمودُ

وما يكرمُ الإنسانُ من أكلِ لحمــهِ ... وقــد آن أن يُبلى ويأكلهُ الــدودُ[6]

ومن الرسائل الشعرية الّتي انتقاها البغداديّ، تلك الّتي دارت بين محمد بن عبد الله بن نشوان (ت691هـ)[7]، عندما مرض بدمشق، فكتب إلى والدهِ: (الكامل)

([1]) هو علي بن محمد بن سلمان بن حمائل، الشيخ الفاضل البليغ الكاتب الشاعر، توفي بتبوك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وله ست وثمانون سنة، ينظر: وفيات الأعيان: 3\82

([2]) تراجم الأدباء: 351.

([3]) خطأ والصواب: إن.

([4]) رواية فوات الوفيات: عيب.

([5]) تراجم الأدباء: 351، وفيات الأعيان: 3\82.

([6]) م. ن: 351، م. ن: 3\82.

([7]) هو محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان القاضي، فتح الدين ابن القاضي محيي الدين الخدامي الرومي المصري، ولد بالقاهرة سنة (638هـ)، وتوفي بقلعة دمشق، سنة (691هـ)، ينظر: تراجم الأدباء:364.

إن شئتَ تُبصُرني وتُبصِرُ حالتي قـــابـلْ إذا هـبّ النسيمُ قبـولا
تَلقَـاهُ مِثلــي رقـــةً ونَحـــافـــةً ولأجـــلِ قلبـكَ لا أقـــولُ عليـلا
فهــو الرســولُ إليـكَ مني ليتني كنتُ اتخذتُ مع الرسولِ سبيلا[1]

فكتب إليه والده القاضي محيي الدين (ت692هـ): (الخفيف)

أيهـــا الفتـــحُ عـــونـــي وسكنـــا كَ بقلبـــي فلـــيس منـــهَ تَغيـــبُ
فلهـــذا أمســـيتَ نصـــري مـــن اللهِ تعـــالى ربّـــي وفـــتحٌ قريـــبُ[2]

8- الشكوى:

الشكوى هي ((تعبير عن حالة شعورية، تقوم على ألم داخلي يعتصر الفرد وقد يوصله إلى العتب والصراخ، وكلما زاد الهم على نفسه زادت شكوته))[3]، وتجسّد ما يعبّر به الإنسان عن معاناته، وهمومه؛ نتيجة لانعكاس مجموعة من الجوانب السّلبية الّتي تُلقي بظلالها على هذه الحياة، والّتي بدورها تطبق على كاهل الإنسان فتجعله يُطلقُ صيحات التّشكي، وصرخات التّظَلّم، والمُكابدة، لذلك تُعدُّ الشكوى فنّا من فنون الشّعر الوجداني العميق الذي يفصح عمّا يلحقُ بالنّفس من اختلاجات الجور، والكبت، والمكابدات، والقهر الاجتماعي[4]، وقد كان لشعراء لشعراء تراجم الأدباء دور واضح في التّعبير عن هذا الغرض، بما تُفضِي به جوانحهم إزاءَ

(1) الدليل الشافي، ابن تغري بردي: 2\643، ورد فيه هذان البيتان فقط.
(2) تراجم الأدباء: 365.
(3) الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين: 60.
(4) ينظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: 369.

موقف اجتماعي جعلهم يفصِحون عنه، ومن أمثلة ذلك قول الطغرائي (ت515هـ) [1] في الشكوى من الكبر: (البسيط)

سبعٌ وخمسونَ لو ولَّت على حَجَر ... لَبـانَ تأثيرها فـي صَفْحَـةِ الحَجَرِ
هذا الصَّغيرُ الذي وافى على كَبري ... أَقـرَّ عَيْنـي ولكـنْ زادْ فـي فكري[2]

ومما أورده أيضا الشكوى من الشيب وهذا ما تحقق في قول أبي عليّ الفارسي (ت377هـ): (الوافر)

خَضـبْتُ الشـيبَ لمـا كـان عيبًـا ... وخَضـب الشـيبَ أولـى أن يُعابـا
ولـم أخْضـبْ مخافـةَ هجـرَ خِـلَّ ... ولا عَيبـًا خَشيـتُ ولا عِتابـا
ولكـنّ المَشـيبَ بـدا ذميمـًا ... فَصَـيرّتُ الخِضـابَ لـه عِقابـا[3]

9- الخمريات:

حفل الشعر العربي بأحاديث عن الخمرة ومجالسها؛ لارتباطها بحياة العربي عامة، وبحياة الشاعر العربي على وجه الخصوص، لذلك نجد كثيرًا من الشعراء قد تهافتوا عليها وأدمنوا احتساءها، وأفاضوا في وصفها، فوصفوا لنا نشوتها، ودبيبها، وطعمها، ولونها ورائحتها كما وصفوا آنيتها وكؤوسها وندّامها وسقاتها وجلّاسها وكل ما يدور في مجالسها[4].

([1]) هو أبو اسماعيل الحسن بن علي بن محمد عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطُغرائي، كان وزير السلطان مسعود السلجوقي، له ديوان شعر، توفى سنة (515هـ)، ينظر: تراجم الأدباء: 119.

([2]) تراجم الأدباء:121، وديوان الطغرائي: 163.

([3]) تراجم الأدباء:124، وفيات الأعيان: 3\81.

([4]) ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي: 62.

ولم تشكل الخمريات حضورًا بارزًا في اختيارات المؤلف الشعرية، إذ استشهد بأقوال الشعراء فيها (3) مرات فقط، وقد يرجع سبب هذا قد تحدّد عن طريق نزعة دينية أخلاقية، استنكرت الخمريات، وسيطرت على البغداديّ، وتحكمت في اختياراته، إذ جعلته يرتفع عن ذكر الخمرة، ويبتعد عن الاستشهاد بأقوال الشعراء فيها؛ بسبب حرمتها في ديننا الإسلامي، وكذلك ما تتضمنه تلك الأشعار من غزل ماجن، والتغزل بالغلمان، وألفاظ بذيئة، جعلت البغداديّ يترفع عن ذكرها، ومن الأبيات الّتي أوردها المؤلف في وصف الخمرة قول مُجير الدّين بن تميم (ت684هـ): (الوافر)

لـــــو أنّـــكَ إذ شـــــربناها كؤوسًـــــا مُلـــــئنَ مـــــنَ المـــــدامِ الأرجـــــواني
حَسِـــــبتَ سُـــــقاتها دارتْ علينـــــا بـــأشربةٍ وَقَفْـــنَ بـــلا أوانـــي أوانـــي[1]

10- الفخر:

الفخر هو ((التغني بالفضائل والمثل العليا والتباهي بالفعال الطيبة والسجايا النفسية والصفات القومية))[2]، وكانوا يفخرون بالشجاعة، والإقدام، والنجدة، وإغاثة الملهوف، وحماية الجار، والكرم ونحو ذلك مما كانوا يمتدحون به [3].

وجاء الفخر في المرتبة الأخيرة في اختيارات المؤلف، ويبدو أن احتلاله مرتبة متأخرة قياسًا إلى اهميته، يرجع إلى أن المؤلف كما ذكرنا سابقًا أن معظم اختياراته كانت من العصر العباسي، والفخر القبلي في ذلك العصر ضعف؛ بسبب ضعف الشعور بالعصبية القبلية الّتي

([1]) تراجم الأدباء: 324، وديوان مجير الدّين بن تميم: 57.

([2]) ادب العرب في عصر الجاهلية: 132.

([3]) ينظر: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: 313.

كانت سائدة في العصر الجاهلي، أما الفخر الشخصي فلم يكن له حضور ضمن اختيارات المؤلف، ومن الأبيات الّتي أوردها في الفخر قول ابن جني (ت392هـ): (الوافر)

فَــإنْ أُصْــبحْ بــلاَ نَســبٍ فَعِلْمــي فــي الــوَرَق نَسَبــي

علـــى أنـــي أؤول إلـــى قُـــرومٍ ســـادةٍ نُجُـــبِ

قياصـــــرةٌ إذا نَطَقـــــوا أرمّ الدّهَـــر ذو الخُطُـــبِ

أولاءكَ دعـــا النّبـــيّ لَهُـــمْ كفـــى شَـرَفاً دعـاءُ نَبِـيّ[1]

نخلص من ذلك بأن المؤلف لم يخرج باختياراته الشعرية عن أغراض الشعر العربي المعروفة ،مختارًا ما كان يتناسب وذائقته الأدبية بوصفها أهم أساسٍ اعتمده في اختياره للنصوص.

([1]) تراجم الأدباء : 117 ، وفيات الأعيان : 3\246.

المبحث الثاني

الأسـاس الزمـاني والمكـانــي

أولًا – الزمـاني:

عمد البغداديّ في كتابه "تراجم الأدباء" إلى اختيار شخصيات معينة، فمنهم الصحابي، والشاعر، والكاتب، والنحويّ، واللغويّ، والحاكم، والوزير، والقاضي، من عصور أدبية مختلفة[1].

ومن أجل إعطاء صورة واضحة، ووافية، عن النماذج المختارة، قمنا بوضع جدول يبين أسماء الأعلام، والعصر الّذي ينتمي إليه العلم، والمكان الّذي عُرف بانتسابه إليه، وعلى النحو الآتي:

جدول رقم (2)

شمل أسماء الأعلام الّذين ورد ذكرهم في الكتاب بحسب تسلسلهم فيه

ت	اسم العلم	العصر الّذي عاش فيه	القطر الّذي عاش فيه	سنة الوفاة
1	السيد عبد الرحيم العباسي	المتأخر	مصر	963هـ
2	يونس الضَّبّيّ	العباسي	العراق	185هـ
3	ابن قتيبة	العباسي	العراق	276هـ
4	الأصمعي	العباسي	العراق	217هـ

(1) ينظر: تراجم الأدباء: 23، 34، 56، 67، 78، 98، 108.

5	تاج الدّين الكندي	العباسي	بلاد الشام	613هـ
6	الرِيَاشي	العباسي	العراق	257هـ
7	خالد البارد	العباسي	العراق	269هـ
8	القاضي إياس	الأموي	العراق	122هـ
9	الأحنف بن قيس	الأموي	العراق	67هـ
10	يحيى بن خالد البرمكي	العباسي	العراق	190هـ
11	أبو بكر الصولي	العباسي	العراق	335هـ
12	الكِسائي	العباسي	العراق	183هـ
13	الجلال القزويني	المتأخر	بلاد الشام	739هـ
14	صاعد اللّغوي	العباسي	العراق	417هـ
15	الإقسرائي	المتأخر	بلاد قرمان	776هـ
16	خلف الأحمر	العباسي	العراق	180هـ
17	أبو عَمْرو الشَيْباني	العباسي	العراق	213هـ
18	سفيان بن عُيَيْنَة	العباسي	الجزيرة العربية	198هـ
19	أبو حاتم	العباسي	العراق	248هـ
20	ابن دُرُستويه	العباسي	العراق	337هـ
21	نِفْطويه	العباسي	العراق	323هـ

22	ابن السيّد	الأندلسي	بلنسية	521هـ
23	المَنَازي	العباسي	ديار بكر	437هـ
24	الملك أحمد بن مروان الكردي	العباسي	ديار بكر	453هـ
25	ابن أبي ليلى	العباسي	العراق	148هـ
26	حمّاد الراوية	العباسي	العراق	157هـ
27	الفَرّاء	العباسي	العراق	207هـ
28	ابن شمس الخلافة	العباسي	مصر	622هـ
29	الملك صلاح الدين	العباسي	مصر	656هـ
30	الحسن بن سهل	العباسي	العراق	235هـ
31	ابن الزيّات وزير المُعْتَصم	العباسي	العراق	233هـ
32	المُعْتَز بالله	العباسي	العراق	255هـ
33	المستعين بالله	العباسي	العراق	252هـ
34	جَحْظَة البرمكي	العباسي	العراق	336هـ
35	الأَخْفَش	العباسي	العراق	215هـ
36	السَعْد التَفْتازاني	المتأخر	سمرقند	791هـ
37	البَسّامي	العباسي	العراق	302هـ

38	القُطْب الشيرازي	المتأخر	شيراز	715هـ
39	سِيْبَوَيْه	العباسي	العراق	177هـ
40	الخليل	العباسي	العراق	170هـ
41	خالد بن يزيد	الأموي	بلاد الشام	85هـ
42	ثَعْلَب	العباسي	العراق	291هـ
43	حَمّاد عَجْرَد	العباسي	العراق	161هـ
44	قُطْرُب	الأموي	العراق	83هـ
45	يعقوب بن داود وزير المهدي	العباسي	العراق	145هـ
46	محمد بن أبي الفضل المرسي	العباسي	بلاد الشام	655هـ
47	هَبَنَّقَهْ	الجاهلي	الجزيرة العربية	
48	جَذِيْمَه الأبرش	الجاهلي	الجزيرة العربية	267م
49	أبو عُبَيْدَة	العباسي	العراق	211هـ
50	ابن جِنّي	العباسي	العراق	392هـ
51	الطُغْرَائي	العباسي	أصفهان	515هـ
52	أبوعَليّ الفارسي	العباسي	فارس	377هـ
53	عَمَارَة	العباسي	مصر	569هـ

54	ابن قُرَيْعة	العباسي	العراق	367هـ
55	القاضي عَيّاض	الأندلسي	مراكش	542هـ
56	الناشئ	العباسي	العراق	366هـ
57	ابن سَكْرَه	العباسي	العراق	385هـ
58	الحَاتِمِيّ	العباسي	العراق	388هـ
59	ظافر الحَدّاد	العباسي	مصر	529هـ
60	محمد بن الحُسَين	العباسي	جرجان	421هـ
61	عبد القاهر الجرجاني	العباسي	جرجان	471هـ
62	التَّلَّعْفَري	المتأخر	بلاد الشام	675هـ
63	النَّامِيّ	العباسي	بلاد الشام	399هـ
64	المُعافى بن زكريا	العباسي	العراق	390هـ
65	ابن الطَراوة	الأندلسي	مالقة	528هـ
66	القاضي أبوعلي التَنوخّي	العباسي	العراق	384هـ
67	يحيى بن بَقِيّ	الأندلسي	قرطبة	544هـ
68	الحصري	الأندلسي	القيروان	488هـ
69	عز الدولة	العباسي	العراق	367هـ

70	عضد الدولة	العباسي	العراق	372هـ
71	ابن زَبادَة	العباسي	العراق	594هـ
72	ابن المعلم	العباسي	العراق	592هـ
73	أبو عُبَيْد	العباسي	العراق	230هـ
74	الزَاهِي	العباسي	العراق	352هـ
75	صَرْدَر	العباسي	العراق	465هـ
76	البَبَّغَاء	العباسي	بلاد الشام	398هـ
77	المُعتمد بن عَبّاد صاحب أشبيلية	الأندلسي	أشبيلية	488هـ
78	عبد الحميد	الأموي	بلاد الشام	132هـ
79	ركن الدولة بن بويه	العباسي	الري	366هـ
80	أبوالمُطاع	العباسي	بلاد الشام	428هـ
81	السيدة سكينة	الأموي	الجزيرة العربية	126هـ
82	الإمام الشافعي	العباسي	الجزيرة العربية	204هـ
83	الصلاح الصفدي	المتأخر	بلاد الشام	764هـ
84	البدر لؤلؤ الذهبي	المتأخر	بلاد الشام	685هـ
85	ابن رشيق	الأندلسي	القيروان	456هـ

86	ابن خفاجة	الأندلسي	بلنسية	533هـ
87	ابن الساعاتي	العباسي	بلاد الشام	602هـ
88	ابن عمّار	الأندلسي	أشبيلية	477هـ
89	أبو حيّان التَّوْحيدي	العباسي	العراق	414هـ
90	الشريف الرضي	العباسي	العراق	406هـ
91	الزبير بن بكار	العباسي	الجزيرة العربية	256هـ
92	الفضل بن مروان	العباسي	العراق	250هـ
93	الصفّي الحلّي	المتأخر	مصر	750هـ
94	روح بن حاتم	العباسي	السند	174هـ
95	الربيع بن يونس	العباسي	العراق	170هـ
96	الهَيْثَم بن عديّ	العباسي	العراق	207هـ
97	ابن زبلاق	العباسي	العراق	660هـ
98	عُبَيْد الله بن طاهر	العباسي	العراق	355هـ
99	ابن كِلّس	العباسي	مصر	385هـ
100	ابن قلاقس	العباسي	مصر	567هـ
101	رشيد الفارقي	المتأخر	بلاد الشام	689هـ
102	السراج الورَّاق	المتأخر	مصر	695هـ

103	نجم الدّين البارزي	المتأخر	بلاد الشام	683هـ
104	الشاب الظّريف	المتأخر	بلاد الشام	688هـ
105	ابن الخيّاط	العباسي	بلاد الشام	517هـ
106	ابن مرداس	العباسي	بلاد الشام	419هـ
107	عبد الملك بن عُمَيْر	العباسي	العراق	636هـ
108	ابن الأنباري	العباسي	العراق	305هـ
109	الزمخشري	العباسي	خوارزم	538هـ
110	عمر بن أبي ربيعة	الأموي	الجزيرة العربية	93هـ
111	الجاحظ	العباسي	العراق	255هـ
112	قُتَيْبَة بن مُسْلم	الأموي	العراق	96هـ
113	ابن فضل الله	المتأخر	بلاد الشام	749هـ
114	ابن وكيع	العباسي	مصر	393هـ
115	سيف الدولة بن حمدان	العباسي	بلاد الشام	365هـ
116	ابن مُفَرّغ	الأموي	العراق	69هـ
117	فاتك المجنون	العباسي	بلاد الشام	390هـ
118	السَلامي	العباسي	العراق	393هـ
119	ابن الفارض	العباسي	مصر	632هـ

120	ابن حَمْدِيس	الأندلسي	صقلية	527هـ
121	زين العابدين عليه السلام	الأموي	الجزيرة العربية	95هـ
122	ابن الخَشّاب	العباسي	العراق	566هـ
123	قابوس	العباسي	جرجان	453هـ
124	المُبَرَّد	العباسي	العراق	285هـ
125	يزيد بن مَزْيَد	العباسي	العراق	195هـ
126	مُسْلم بن الوليد	العباسي	العراق	208هـ
127	الفضل بن سَهْل	العباسي	العراق	202هـ
128	مُجير الدين بن تَميم	المتأخر	بلاد الشام	684هـ
129	خالد القَسْريّ	الأموي	العراق	126هـ
130	سالم بن عبد الله بن عمر	الأموي	الجزيرة العربية	106هـ
131	ابن فارس	العباسي	الري	390هـ
132	الذهبي	المتأخر	بلاد الشام	748هـ
133	الوداعي	المتأخر	بلاد الشام	710هـ
134	ابن هاني	الأندلسي	أشبيلية	362هـ
135	الصّوري	العباسي	صور	419هـ
136	سبط ابن الجوزي	العباسي	بلاد الشام	654هـ

137	الشّهاب محمود	المتأخر	بلاد الشام	725هـ
138	علي بن فَضّال	العباسي	غزنة	479هـ
139	ابن دُرَيْد	العباسي	العراق	321هـ
140	الملك الأفضل صاحب حماه	المتأخر	بلاد الشام	742هـ
141	ابن عبد الظاهر	المتأخر	مصر	692هـ
142	أبيه محمد بن عبد الله بن نشوان	المتأخر	مصر	691هـ
143	أبو دُلَف	العباسي	العراق	226هـ
144	البَهاء زُهَيْر	العباسي	مصر	656هـ
145	العفيف	المتأخر	بلاد الشام	690هـ
146	ابن عُنَيْن	العباسي	بلاد الشام	630هـ
147	عُثمان رضي الله عنه	الإسلامي	الجزيرة العربية	35هـ
148	أبو بَكِر رضي الله عنه	الإسلامي	الجزيرة العربية	13هـ
149	عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه	الإسلامي	الجزيرة العربية	23هـ

نلحظ من الجدول السابق أنّ اختيارات المؤلف متنوعة، والأدباء ليسوا من جيل واحد، ولا من طبقة واحدة، وعلى الرغم من هذا التنوع إلا أن المؤلف لم يفصل بين شخصياته المختارة، فلم يعزل الشعراء عن النحاة، أو الملوك عن الكتاب، أي إنه لم يفصل بين الأعلام بالاعتماد

على أصلهم، أو وظائفهم، أو طبيعة العلوم الّتي نبغوا فيها، لذلك جاءت اختياراته متداخلة، وتوزعت على عصور عِدَّة امتدت من العصر الجاهلي إلى العصور المتأخرة، مرورًا بالعصر الإسلامي، فالأموي، فالعباسي، وكذلك أدباء الأندلس، وبلغ عدد تراجمه في العصر الجاهليّ اثنتين، وهذه نسبة قليلة جدًا ومثال ذلك ترجمته لهَبَنَّقَهْ: ((هَبَنَّقَهْ بفتح الهاء والباء الموحدة، والنون المشددة، والقاف، وبعدها هاء ساكنة. وهو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القبيسي، وقيل كنيته أبو نافع، وفيه يضرب المثل في الحُمق، فيقال: أحمق بن هَبَنَّقه القبيسي؛ ولأنه كان قد شرد له بعير، فقال: إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان، فنسب إلى الحمق لهذا السبب وسارت به الأشعار. ابن خلكان))[1]، وأما الشخصية الثانية الّتي ترجم لها من العصر الجاهلي، فكانت لها شهرة في ذلك العصر[2].

أمّا عصر صدر الإسلام، فقد اختار منه ثلاثة أعلام، وهذه نسبة قليلة جدًا أيضًا، ومن أمثلة هذا العصر ترجمته عثمان بن عفان (ت35هـ)[3].

نلحظ أن اختيارات البغداديّ في العصر الإسلامي اقتصرت على أعلام لهم شهرتهم في التاريخ الإسلامي، ولهم صدى واسع في عصرهم، ولم يترجم لغيرهم من الأعلام.

ولو تقدّمنا قليلًا وصولًا للعصر الأموي، نجده ترجم لأعلام أكثر من العصور السّابقة إذ بلغت أثنتا عشرة ترجمة، ونجده ترجم أيضا لمن كان له شهرة، ومكانة في قومه، ومن ذلك ترجمته للقاضي إياس (ت122هـ): ((مات قاضي البصرة إياس بن معاوية المزني أحد من يضرب به المثل الذكاء والعقل سنة اثنتين وعشرين ومائة، وعمره ست وأربعين سنة، وإياه عني الحريري

([1]) تراجم الأدباء: 113.

([2]) ينظر: م. ن: 114.

([3]) تراجم الأدباء: 383.

في المقامة السابعة بقوله: فإذا أمعيتي ألمعية ابن عباس، وفراستي فراسة إياس. وكان إياس في حداثة صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس: كيف ابنك لك؟ فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي، ففرغني لآخرتي. وسمع إياس يهوديًا يقول: ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحْدِثون. فقال له إياس: وكلّ ما تأكله تُحْدِثه؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى يجعل بعضه غدًا. قال فلم تتكر أن الله تعالى يجعل كلّ ما يأكل أهل الجنة غدًا؟ أدرك أنسًا، وغيره.))[1].

وكان نصيب العصر العباسي الأكثر في اختيارات المؤلف، وهذا شيء بديهي، فالعصر العباسي من أبهى العصور في تاريخ الحضارة الإسلامية، زهت فيها المدينة، وارتقت الحضارة، وسمتْ العلوم، ونمت الآداب، وبلغ العطاء الفكري منزلة رفيعة، ووصل الانفتاح العقلي مكانة عظيمة[2]، وامتزج العرب بغيرهم من الشعوب والأمم، وكثر التدوين، ونشطت حركة الترجمة، وحفلت المجالس والأندية بالعلوم والآداب، وما خلفه العصر العباسي من ثروة فكرية هائلة أكبر دليل على المستوى الحضاري الّذي حصل فيه[3] لذلك جاءت أغلب اختياراته لتراجمه من هذا العصر لما زخر من أسماء لامعة من العلماء، والأدباء، والشعراء، وبلغت (99) عامًا، ومن أمثلة ذلك ترجمته لركن الدولة بن بويه (ت366هـ): ((أبو الحسن بن بويه بن فناخسر والديلمي، الملقب ركن الدولة المذكور صاحب أصبهان والريّ وجميع عراق العجم، وهو والد عضد الدولة أبي الحسن علي، وكان ملكًا جليل القدر عال الهمة، وكان أبو الفضل ابن العميد وزيره ولما توفي استوزر ولده أبا الفتح عليًا، وكان الصاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة وكان مسفورًا

([1]) تراجم الأدباء: 32.

([2]) ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد: 5.

([3]) ينظر: الحياة الأدبية في العصر العباسي: 10.

ورزق السعادة في أولاده الثلاثة، وقسّم عليهم الممالك، فقاموا بها أحسن قيام. وكان ركن الدولة المذكور أوسط الأخوة الثلاثة، وهم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة المذكور، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد. وكان عماد الدولة أكبرهم، ومعز الدولة أصغرهم. وتوفي ركن الدولة ليلة السبت لاثنتي عشر ليلة بقيت من محرم سنة (366) بالريّ في مشهده، ومولده تقديرًا في سنة (283). قال أبو إسحاق الصابئ: وملك أربعًا وأربعين سنة وشهرًا وتسعة أيام، وتولى بعده ولده مؤيد الدولة رحمهما الله تعالى. ابن خلكان))[1].

وممن ترجم إليه من شعراء العصر العباسي الشاعر صَرْدَر (ت465هـ) إذ يقول فيه: ((الرئيس أبو المنصور علي بن الحسن علي بن الفضل الكاتب المعروف بصَرْدرَ الشاعر المشهور، أحد نُجَباء شعراء عصره جمع بين جودة السبك وحسن المعنى، وعلى شعره طلاوة رائقة، وبهجة فائقة، وله ديوان شعر وهو صغير، وأما ألطف قوله من قصيدة: (البسيط)

نسَـــائِلُ عـــن ثمـامَـــات بحـــزْوى ... وبـــانُ الرَّمـــلُ يعلـــمُ مـــا عنينـــا
فقـــد كشـــفَ الغطـــاءُ فمـــا نبـــالي ... أصـــــرَّحنا بـــــذِكرك أم كُنَينَـــــا
ألا لله طيـــــفٌ منـــــكَ يســـــقِي ... بكاســـــاتِ الكـــــرى[2] زورًا ومَيْنـــــا
مَطّيتُـــه طـــــوال الليـــل[3] جفنـــــي ... فكيـــف شـــكا إليـــكِ وجـــى وأينـــا
فامســـينا كـــــأنا مـــــا افترقنـــا ... وأصـــبحنا كأنـــا مـــا التقينـــا [4]

([1]) تراجم الأدباء: 193.

([2]) رواية الديوان: الردى.

([3]) رواية الديوان: الدهر.

([4]) تراجم الأدباء: 176، وديوان صردر: 149.

وله في الشيب: (الكامل)

لــم أبــكِ أن رحــلَ الشــبابُ وإنمــا أبكـــــي لأن يتقـــــاربَ الميعـــــادُ
شـــعرُ الفتـــى أوراقُـــهُ فـــإذا ذوى جَفَّـــتْ علـــى آثـــارِهِ الأعـــوادُ[1]

وله في جارية سوداء، وهو معنى حسن: (السريع)

علقتهـــا ســـــوداءَ[2] مصقـولـــــةً ســـــوادُ قلبـــــي صفـــــةٌ فيهـــــا
مـــا انكشـــفَ البـــدرُ علـــى تمّـــهِ ونـــــــــــورُهُ إلا ليحكيهـــــــا
لأجلهـــــا الأزمـــــانُ أوقـاتهـــــا مُـــــؤرّخـــــاتٌ بليـــاليهـــــا[3]

قيل له صَرْدَر لأن أباه كان يلقب صُرَّبعَر لشحّه، فلما نبغ ولده المذكور وأجاد الشعر، قيل له: صَرْدَر. وقد هجاه بعض الشعراء، وهو الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر وهو: (المتقارب)

لـــئن لّقـــبَ[4] النـــاسُ قِـــدمًا أبـــاك وســـــموّه مـــــن شـــــحة صَـــــرَّبعْرا
فأنّـــك تنثـــــرُ[5] مـــــا صَـــــرّهُ عُقـوقـــــًا لـــــهُ وتســـمّيهِ شِـــعرا[6]

([1]) م . ن : 177، و م . ن : 261.

([2]) رواية الديوان: حماه.

([3]) تراجم الأدباء: 177، وديوان صردر: 216.

([4]) رواية الديوان: نبزَ.

([5]) رواية الديوان: تنشرُ.

([6]) تراجم الأدباء: 177، وديوان الشريف البياضي ت468 جمع وتحقيق ودراسة، د. فهد نعيمة مخيلف، مجلة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، المجلد 21، العدد ثلاثون : 262.

ولعمري ما أنصفه هذا الهاجي، فإن شعره نادر، وإنما العدو لا يبالي بما يقول. وكانت وفاة صَرْدَر سنة (465) في قرية بطريق خراسان، وكانت ولادته قبل الأربعمائة، وكان سبب موته أنه تردى في حفرة حُفِرَت للأسد في قرية بطريق خراسان. من التذكرة))[1].

أما العصور المتأخرة –وعلى الرغم من كون المؤلف متأخر النشأة، وقرب عهده من عهدهم– إلا أنّه لم يكن لهم حضورًا لافت ضمن اختيارات المؤلف، إذ بلغت (22) ترجمة، ومن ذلك ترجمته للإقسرائي (ت776هـ): ((ومنهم المولى الأعظم الشيخ جمال الدّين محمد بن محمد بن محمد الإقسرائي قدس الله سره العزيز، وكان علمًا فاضلًا كاملًا تقيًا، عالمًا بالعلوم العربية والشرعية والعقلية. وقد درّس فأفاد، وصنّف فأجاد، وانتفع به كثير من الفضلاء، وتخرج عنده جمع من العلماء كتب حواشي على الكشاف وصنف شرحًا لإيضاح المعاني وشرح الموجز في الطب روي أن المولى المذكور من نسل الإمام فخر الدّين الرازي وهو رابع مرتبة منهم. وكان رحمه الله تعالى مدرسًا في بلاد قرمان في مدرسة مشهورة بالمدرسة المسلسلة وقد شرط بانيها ألا يدرس فيها إلا من حفظ الصحاح للجوهري فتعين لذلك المولى جمال الدّين المذكور في زمانه. وكانت طلبته ثلاث طبقات: الأدنى منهم من يستفيدون منه في ركابه عند ذهابه إلى الدرس وسماهم المشايين، والأوسط منهم من يسكنون في رواق المدرسة وسماهم الرواقيين على عادة الحكماء الأقدمين، والأعلى منهم يسكنون في داخل المدرسة. وكان يدرس أولًا المشايين في ركابه، ثمّ ينزل عن فرسه، ويدرس الساكنين في الرواق ثمّ يدخل المدرسة ويدرس الساكنين في داخلها. وكان المولى الفناري ساكنًا في رواق المدرسة لحداثة سنه في ذلك الوقت. روي أنه لما بلغ السيد الشريف صيت المولى جمال الدّين المذكور ارتحل إلى بلاد الروم ليقرأ عليه، فلما قرب منه رأى شرحه للإيضاح، فلم يعجبه حتى روي أنه قال في حقه إنه كالذباب على لحم

(1) تراجم الأدباء: 176– 178.

بقر، وما قال ذلك إلاّ لأن الإيضاح كتاب مبسط لا يحتاج إلى الشرح إلا في بعض المواضيع. والمولى المذكور كتب في شرحه المتن بتمامه وضرب عليه بالمداد الأحمر، فبقي شرحه فيما بينها كالذباب على لح البقر ولما قال السيد الشريف هذا الكلام في حقه قال بعض الطالبين: إن تقريره أحسن من تحريره، فقصده السيد الشريف فأتى بلاد قرمان، فصادف دخوله إلى البلد موت المولى المرحوم جمال الدّين، ولقي السيد الشريف هناك المولى الفناري، فذهب معه إلى مدينة مصر، فقرأ على الشيخ أكمل الدّين روَّح اللهُ أَرواحهم شقائق النعمان لابن طاش الكبري))[1].

ثانيًا – المكـانــي:

البغداديّ كما لاحظنا قد ترجم لأدباء من مختلف الشرائح الاجتماعية [2]، فحقق بذلك شمولًا نوعيًا وفق عناصر شهرة أدبائه، وكذلك ترجم لامرأة واحدة [3]، ومثلما نوع في عصور أدباء كتابه، نوع في الأقطار الّتي عاش فيها أولئك الأدباء لتشمل أقطار الدولة الإسلامية من شرقها إلى غربها، إذ لم يقتصر على تراجم أدباء منطقة محدودة فقد امتدت الرقعة الجغرافية الّتي توزعت عليها تراجم أدبائه ابتداءً من العراق، وبلاد الشام، ومصر، والأندلس، وصقلية، والمغرب، والجزيرة العربية إلى جانب بلاد فارس، وارمينية، وبلاد ما وراء النهر.

وعلى الرغم من أن هذا التوزيع يدل على مشاركة أكثر أقطار العالم الإسلامي في اختيار تراجمه، فإن نصيب أدباء العراق عامة، وأدباء بغداد خاصة هو الأكثر؛ لأنها حاضرة الدولة العباسية الّتي احتضنت كبار علماء الفكر العربي، وشعراء الفكر العربي ومنارته، ومركز النور، وكعبة الأدباء والشعراء والعلماء، ولقد كان عصر نفوذ الخلفاء العباسيين عصر ازدهار في النهضة الفكرية والأدبية، بعامل تشجيع الخلفاء للعلوم والآداب، وكان حب العباسيين للعلوم

([1]) تراجم الأدباء: 44–45.

([2]) ينظر: الجدول رقم 2: 84.

([3]) ينظر: تراجم الأدباء: 196.

والآداب، وبذلهم بسخاء في هذا السبيل؛ ما جعل عاصمة الخلافة موضع جذب للعلماء من كل فج وصوب[1]، وبغداد مكان نشأة المؤلف، ومهد صباه، الأمر الّذي جعله يترجم لأدباء مدينته، والمدن القريبة لها أكثر من غيرها من المدن الأخرى، ومن أمثلة ذلك ما نقله لقول خالد البارد (ت269هـ)[2]: (المتقارب)

رَقَـــــدتَ وَلَـــــم تَـــرْثِ للسّـــاهرِ ولَيْـــــلُ المحـــــبِّ بِـــــلا آخـــــرِ

وَلَـــم تَـــــدرِ بَعْـــد ذهـــــاب الـــرُّقا دِ مـــا صـــنعَ[3] الـــدّمعُ بالنّـــاظرِ

أيـــــا مَـــــتنْ يُعـــذبني طـــترفُـــهُ[4] أجرْنـــي مـــــنْ طـــــرِفكَ الفـــاترِ[5][6]

ومما أورده أيضًا قول الشريف الرضي (ت406هـ): (الكامل)

رَمَـــتِ المَعـــالي فـــامتَنَعنَ وَلـــمْ يَـــزَلْ أبَـــــدًا يُمَـــــانِعُ عاشـــــقًا مَعشُـــــوقُ

وصـــــبرتُ حَتّـــى نِلـــتُهُنّ وَلـــمْ أقُـــلْ ضَجَـــــرًا دوَاءُ الفـــــارِكِ التّطليـــــقُ[7]

وقول قطرب (ت83هـ)[8]: (البسيط)

([1]) ينظر: الحياة الأدبية في العصر العباسي: 11.

([2]) خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم، المعروف بالكاتب: شاعر غزل، من الكتاب. أصله من خراسان، ومولده بها، عاش وتوفي في بغداد. كان أحد كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسي. وكان يهاجي أبا تمام، وغلبت عليه السوداء، وعاش عمرًا طويلًا حتى دق عظمه ورق جلده. شعره رقيق، أكثره غزل، ينظر: الأعلام:2\301.

([3]) رواية الديوان: فَعَل.

([4]) رواية البيت في الديوان: فَيَا مَنْ تَمَلَّكَني حُبُّهُ.

([5]) رواية البيت: السَّاحِرِ.

([6]) تراجم الأدباء: 30، وديوان خالد الكاتب: 366.

([7]) تراجم الأدباء: 225، وديوان الشريف الرضي: 2\50.

([8]) قطرب، هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زيادة، المعروف بقطرب؛ أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، وكان حريصا على الاشتغال والتعلم، ينظر: تراجم الأدباء: 105.

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منكَ معي يـراكَ قلبـي إذا[1]غُيبـتَ عـن بَصَـري
والعـينُ تُبصِـر مَـنْ تَهْـوى وتفقـدهُ وبـاطنُ القلـبِ لا يخْلـو مـن النَظَـرِ[2]

وقول الخليل الفراهيدي (ت170هـ): (الطويل)

يَقولـونَ لـي دارُ الأحبـةِ قـد دَنَـتْ وأَنـتَ كئيـبٌ إنَّ ذا لَعجيـبُ
فَقُلـتُ ومـا تُغنـي الـدِيّارُ وَقُربُهـا إذا لـم يكـنْ بَـينَ القُلـوبِ قَريـبُ[3]

وأيضا قول ثَعلَب (ت291هـ): (الطويل)

إذا كنـت قـوت الـنفس ثـم هجرتهـا فلـم [4]تلبـث الـنفس الّتـي أنـت قوتهـا
سـتبقى بقـاء الضـب فـي المـاء أو كمـا يعـيش ببيـداء المهامـة حوتـها[5]

وجاءت بالمرتبة الثانية بلاد الشام آخذًا برأي الثعالبي (ت429هـ) فيهم عندما قال: ((والسّبب في تبريز القوم قديمًا وحديثًا على سواهم في الشّعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إيّاهم ولما جمع شعراء العصر من أهل الشّام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ورزقوا ملوكًا وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقيّة العرب والمشغوفون

([1]) رواية وفيات الأعيان: وإن.

([2]) تراجم الأدباء: 106، وفيات الأعيان: 4\312.

([3]) تراجم الأدباء: 98، وشعر الخليل بن أحمد: 363.

([4]) روية وفيات الأعيان: فكم.

([5]) تراجم الأدباء: 102، وفيات الأعيان: 1\103.

بالأدب والمشهورون بالمجد والكرم... فقادوا محاسن الكلام بألين زِمَام وأحسنوا وأبدعوا ما شاءُوا))[1]،

ومن ذلك نقله لقول البَبَّغَاء (ت398هـ)[2]: (الكامل)

وَمُهَفْهَـــفٍ لِمـــا اِكتَسَـــت وَجَناتُـــهُ ... حُلَـــلَ المَلاحَـــةِ طُـــرِّزَت بِعَـــذارِهِ

لَمـــا اِنتُصِـــرتُ عَلـــى عَظـــيمِ جَفائِـــهِ ... بِالقَلـــبِ كـــانَ القَلـــبُ مِـــن أَنصـــارِهِ

كَمُلَـــت مَحاسِـــنُ وَجهِـــهِ فَكَأَنَّمـــا اِق ... تَـــبَسَ الهِـــلالُ النـــورَ مِـــن أَنـــوارِهِ

وَإِذا أَلَـــحَّ القَلـــبُ فـــي هِجرانـــهِ ... قـــالَ الهَـــوى لا بُـــدَّ مِنـــهُ فَـــدارِهِ[3]

وقول النَّاميّ (ت399هـ)[4]: (الوافر)

أحقًـــــــا أن قـــــــاتلتي زرودُ ... وإن عهودهـــــا تلـــــك العهـــــودُ

وقفـــتُ وقـــد فقـــدت الصـــبر حتـــى ... تبـــين مـــــوقفي انـــــي الفقيـــد

فشكـــت[5] فـــيَّ عـــذالي فقالـــوا ... لـــرسم الـــدار ايكمـــا العميـــد[6]

([1]) يتيمة الدهر: 32.

([2]) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، الشاعر المعروف بالبَبَّغاء، من أهل نصيبين له ديوان ومدائح في سيف الدّولة، وتنقل في البلاد ومدح الكبار. توفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان، وقيل سلخ شعبان سنة (398)، ينظر: تراجم الأدباء:178.

([3]) تراجم الأدباء: 179، وشعر الببغاء: 299.

([4]) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي، المعروف بالنّامِيّ الشاعر المشهور. وكان من الشعراء المعلقين، ومن فحولة شعراء عصره، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان، وكان فاضلًا أديبًا عارفًا باللغة وله أمالي أملاها بحلب، ينظر: تراجم الأدباء: 147.

([5]) رواية الديوان: وشكت.

([6]) تراجم الأدباء: 148، وشعر النّامي: 55.

أيضًا كانت بلاد الشام حضارة الدولة الإسلامية في العصر المملوكي، وعاصمته الثانية، فضلًا عن هجرة العلماء والشعراء إلى هذه البلاد الّتي توفّر فيها نوع من الأمان والاستقرار[1]، فكان من البديهي أن يختار البغداديّ عدد من الشخصيات لها حضور بارز في تلك البقعة الجغرافية مثل ((التّلّعفري))[2]، و((الشاب الظّريف))[3]، و((الوداعي))[4]، و((الشّهاب محمود))[5]، و((نجم الدّين البارزي))[6].

وجاءت بالمرتبة الثالثة مصر من حيث التوزيع المكاني لتراجم البغداديّ في كتابه، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن مصر كانت حاضرة الدولة في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي، وبعد سقوط بغداد على يد المغول سنة (656هـ \1258م)، ورثت مصر دورها لتكون مركزًا ثقافيًا للعالم الإسلامي، وفيها عاش المؤلف، وتلقى علومه على يد علمائها، فنجده قد ترجم لكثير من أعلامها الّذين عاشوا إبان العصر الأيوبي، والمملوكي، ومن أمثلة ذلك ما نقله لقول ابن شمس الخلافة (ت622هـ)[7]: (الكامل)

هـــي شـــدة يـــأتي الرخـــاء عُقيبهـــا وأســـى يبشّـــر بالســـرور العاجـــلِ

([1]) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: 40.

([2]) تراجم الأدباء: 144.

([3]) م. ن: 258.

([4]) م. ن: 335.

([5]) م. ن: 349.

([6]) م. ن: 257.

([7]) هو أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الأفضل الملقب مجد الملك الشاعر المشهور؛ كان فاضلًا حسن الخط، وكتب كثيرًا، وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه، وله تواليف جمع فيها أشياء لطيفة دلت على جودة اختياره، ينظر: تراجم الأدباء: 67.

وإذا نظـــرت فـــإن بؤسًـــا زائـــلًا للمـــرءِ خيـــرٌ مـــن نعـــيمٍ زائـــلِ[1]

وقول ابن الفارض (ت632هـ): (البسيط)

أهـــلًا بمـــا لـــم أكُـــنْ أهْـــلًا لمَوقِعِـــه قَـــوْلِ المُبَشِّـــرِ بعـــد اليـــأسِ بالفـــرَج
لـــكَ البِشـــارةُ فـــاخْلَعْ مـــا عليـــكَ فقـــد ذُكِـرْتَ ثَـمّ علـى مـا فيـكَ مِـنْ عِـوَجِ[2]

أما بلاد الأندلس فنجد اختيارات المؤلف منها محدودة على شخصيات معينة معتمدًا في اختياره على شهرة الأعلام، ومن ذلك ما نقله لقول ابن خفاجة (ت 533هـ): (الكامل)

وَعَشِـــيٍّ أُنـــسٍ أَضـــجَعَتني نَشـــوَةٌ فيـــهِ تُمَهِّـــدُ مَضـــجَعي وَتُـــدَمِّثُ
خَلَعَـــت عَلَـــيَّ بِـــهِ الأَراكَـــةُ ظِلَّهـــا وَالغُصـــنُ يُصـــغي وَالحَمـــامُ يُحَـــدِّثُ
وَالشّـــمسُ تَجـــنَحُ لِلغُـــروبِ مَريضَـــةً وَالرّعـــدُ يَرقـــي وَالغَمامَـــةُ تَنفُـــثُ[3]

وقول يحيى بن بقي (ت544هـ): (البسيط)

يـــا أقـــتلَ النـــاسَ ألحاظـــًا وأطيبُـــهم ريقًـا متـى كـان فيـكَ الصّـابُ والعسـلُ
فـي صـحنِ خـدّكَ وهـو الشـمسُ طالعـةُ وردٌ يزيـــدُك فيـــه الـــراحُ والخـــجلُ
إيمـــانُ حبّـــكَ فـــي قلبـــي تـــجدّدُهُ مـن خـدّكَ الكتـبُ أومـن لحظـكَ الرسـلُ
إن كنـــتَ تجهـــلُ أنـــي عبـــد ممـــلكةِ مُرْنـــي بمـــا شـــئتَ آتيـــه وأمتثـــلُ
لـــو اطّلعـــتَ علـــى قلبـــي وجـــدتَ بـــه مـن فعـلِ عينيكَ جُـرْحًا لـيس يَنْـدَمِلُ[4]

وقول ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ): (البسيط)

([1]) تراجم الأدباء: 68، وديوان جعفر بن شمس الخلافة: 72.

([2]) تراجم الأدباء: 298، وديوان ابن الفارض: 84.

([3]) تراجم الأدباء: 213، وديوان ابن خفاجة: 62.

([4]) تراجم الأدباء: 159، وديوان ابن بقي الأندلسي: 186.

وَقَائِلَـةٍ مـا ذا الشـحُوبُ وذا الضَّـنى[1] فَقُلْـتُ[2] لهـا قَـوْلَ المَشُـوقِ المُتـيَّمِ
هَــواكِ أَتــاني وَهْــو ضَــيفٌ أُعِــزُّهُ فأَطْعَمْتُــهُ لَحْمــي وأَسْــقَيْتُهُ دَمــي[3]

وأما بلاد فارس فقد اختار المؤلف منها عدد من أعلامها بحسب شهرة هؤلاء الأعلام، ومن ذلك ما نقله لقول محمد بن الحُسين (ت421هـ)[4]: (الطويل)

ولا غُصْــن إلاّ مــا حــواه قَبــاؤُهُ ولا دعــص إلا مــا خبتــه مــآزرهُ
وأمضــى مــن السـيف المنـوط بخصـره إذا شــيم ســيفٌ تنتضــيه محــاجِرهُ[5]

وقول الطُغْرَائي (ت 515هـ): (الكامل)

يـا قلـبُ مـا لـكَ والهَـوى مـن بعـدِ مـا طــاب السُــلو وأقصــرَ العُشَّــاقُ
أَومــا بَــدا لــك فــي الإفاقــة والأُلــى نــازعتَهمْ كــأسَ الغــرام أفــاقوا
مـرِضَ النسـيمُ وصـحَّ فالـداءُ[6] الـذي أشــكوهُ لا يُرجــى لــه إفــراقُ
خفـوقُ البـرق والقلـبُ الـذي[7]وهَـدى يطــوى عليــه أضــالعي[8] خفَّــاقُ[9]

([1]) رواية الديوان: الضَّنا.

([2]) رواية الديوان: فَقُلْتَ.

([3]) تراجم الأدباء: 212، وديوان ابن رشيق: 172.

([4]) هو محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالوارث، أبو الحسين الفارسي النحوي، ابن اخت أبي علي الفارسي، كان خاله أوفده على الصاحب بن عباد إلى الريّ فارتضاه وأكرم مثواه. مات سنة (421هـ)، ينظر: تراجم الأدباء: 143.

([5]) تراجم الأدباء: 143، وبغية الوعاة: 1\94، ومعجم الأدباء: 5\334.

([6]) رواية الديوان: والداءُ.

([7]) رواية الديوان: وهَدا.

([8]) رواية الديوان: جوانحي.

([9]) تراجم الأدباء: 212، وديوان الطغرائي: 260.

وأما أدباء الجزيرة العربية، فلم يكن لهم حضور لافتٌ في اختيارات المؤلف على الرغم من أهميتها فهي تمثل منبع فصاحة العرب، وأصل بلاغتهم ومن ذلك نقله لقول عمر بن أبي ربيعة (ت 93هـ): (الخفيف)

حَـــيِّ طَيفًـــا مِـــنَ الأَحِبَّـــةِ زارا بَعـــدَما صَـــرَّعَ الكَـــرى السُـــمّارا
طارِقًـا فـي المَنـامِ تَحـتَ دُجـى اللَيـ ـلِ ضَـــنينًا بَـــأَن يَـــزورَ نَهـــارا
قُلـــتُ مـــا بالُنـــا جُفينـــا وَكُنّـــا قَبـــلَ ذاكَ الأَســـماعَ وَالأَبصـــارا
قـــالَ إِنّـــا كَمـــا عَهِـــدتَ وَلَكِـــن شَـــغَلَ الحَلـــيُ أَهلَـــهُ أَن يُعـــارا[1]

نلحظ من ذلك إلى أنَّ المؤلف نوع في أزمان أدباء مختاراته وأقطارهم فشملت اختياراته شخصيات من المشرق العربي، والمغرب العربي، وأقطار إسلامية أخرى .

(1) تراجم الأدباء: 272، وديوان عمر بن أبي ربيعة: 108.

الفصل الثالث

الأسس الفنية للاختيارات

المبحث الأول

الألفـاظ والتـراكـيـب

أولًا – الألفـاظ:

تعد اللغة عنصرًا أساسًا في تكوين أي عمل أدبي، وهي في القصيدة وسيلة التعبير عند الشاعر يقوم بوساطتها نقل انفعالاته وأحاسيسه، وهي موسيقاه، وألوانه، ومادته الّتي يخلق منها كائنًا ينبض بالحياة والحركة [1].

وقد عرفها ابن جني (395هـ) أنها ((أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[2]، وهي بذلك وسيلة الإنسان الأساسية في التعبير، والتفاهم كما أنها تمثل المادة الأولية لأي نص شعري[3]، وثمة علاقة وثيقة تربط الشاعر باللغة، فهي ((ظاهرة اجتماعية))[4]، وكذلك تعد ((نشاطًا للروح))[5] الّتي تمد الشاعر بمعين لا ينضب، تعبر عن تجربته الشعورية، وتحمل رؤاه الفكرية.

إن للشعر لغته الخاصة الّتي تختلف عن لغة الكلام الّتي يستعملها الناس في حياتهم اليومية، فهي لغة يقيدها الوزن وتمدها القافية ويسودها أسلوب شعري خالص يمتاز بالعاطفة والخيال ويثير انفعالات المتلقي ((إذ تكمن أهمية الشعر في قيمته الفنية بالقدر الذي يتمكن فيه

([1]) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: 119.

([2]) الخصائص: 34.

([3]) ينظر: في الأدب والنقد، محمد مندور: 19.

([4]) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي: 15.

([5]) الأفكار والاسلوب، أ ف تشيتشرين، ترجمة، د. حياة شرارة: 42.

الشاعر من خلق بنية متماسكة يتلاحم فيها الشكل والمضمون))[1] اللذان يعدان شيئًا واحدًا فلا يمكن فصل أحداهما عن الآخر فيؤدي إلى عكس النتيجة المطلوبة، وتقويم أي نتاج فني للشاعر يتجلى بالقدر الّذي يبرز فيه ((صوت الشاعر الخاص بما يجعل اللغة معبرة عن حقيقة نفسه في اللحظة الّتي يكتب فيها حتى لكأنه يخلق عالمه في قصيدته مثلما يخلق لغته))[2].

وتقتضي عناية الشاعر بلغته عنايته باختيار الألفاظ الّتي يتألف منها نصه الشعري، فاللفظ من العناصر الأساس الّتي يؤسس عليها كيان القصيدة العربية.

وتنحصر مهارة الشاعر في تحويل الألفاظ إلى أعمال فالفرق الأساس بين استعمال الألفاظ في الشعر والنثر هو مقدار الحيوية والنشاط اللذين ينبعثان من تلك الألفاظ، وكلما كان الشاعر ماهرًا كانت ألفاظه تنضج بالقيم فتتقطر من ألفاظه الموسيقى والمعنى والصورة والفكرة والعبارة الصريحة والكناية واللون، والمتلقي يقوم القصيدة بالقدر الذي يحس فيه بصوت الشاعر وهو يخرج الألفاظ مخرجًا يجعل اللغة معبرة عن حقيقة نفسه في اللحظة التي يكتب فيها [3]. فيمكن أن نتصور قصيدة تخلو من الموضوع الجيد والصورة الموحية الجميلة أو الموسيقى الّتي تلائم الأذواق، ولكن لا يمكن تصور قصيدة تخلو من الألفاظ والتراكيب اللغوية [4]، و((أي اختلال باللفظ واضطراب التركيب يؤدي إلى اختلال المعنى وتشويه الفكرة))[5].

([1]) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا مبارك: 87.

([2]) لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي: 22.

([3]) ينظر: الشعر كيف نفهمه ونتذوّقه، إليزابيت درو، ترجمة،د. محمد إبراهيم الشوش: 84.

([4]) ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، د. يوسف حسين بكار: 113.

([5]) لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة: 24.

ولعل أول ما نلحظه على أشعار شعراء "تراجم الأدباء" أن ألفاظهم تأرجحت بين السهولة والرقة والسلاسة والجزالة، وابتعدت عن الوحشية والركاكة والسوقية، فمن أمثلة ألفاظهم الرقيقة والواضحة قول المنازي (ت437هـ) في وصف وادي: (الوافر)

وقانـــــا لفحـــــةَ الرَّمضـــــاء وادٍ ... وقـــاهُ مضـــاعفُ النبـــتِ العَمـــيمِ
نزلنـــــا دَوحَـــــه فَحَنـــــا علينـــــا ... حُنّـــو المُرْضِـــعاتِ علـــى الفَطـــيمِ
وأرشـــــفنا علـــــى ظمـــــأ زلالا ... ألـــــذُ مـــــن المُدامَـــــةِ للنـــــديم
يُراعـــى الشـــمس أَنـــي واجهتنـــا ... فَيحجُبُهـــــا ويـــــأذن[1] للنسيـــــم
يـــروعُ[2] حَصـــاهُ حاليـــةَ العَـــذارى ... فـــتلمُسُ جانـــبَ العقـــدِ النظـــيمِ[3]

إن لفحة الرّمضاء خارجيّة بالنّسبَة إلى الوادي، وقد حماهم منها فهم يستسقون له الغيث المُضاعف العميم، ثمَّ إنّهم في أحضان الوادي كالأطفال في أحضان المراضع. وهنا عدا الحنو والحنان نجدُ فكرة التّصغير المحبّب الّذي تلتصق الرِقّة به. ثمّ أن هذا الماء الزُّلال العذب الّذي رشفوه بلذّة تُذكر لذّة المُنادمة والأنس. كذلك حَصا الوادي يُشبه الدُّرّ في حُسنه. ويذكر الشاعر العذارى للإيحاء بالصِّبا الغضِّ، وبما يُوحينَ من سذاجة وغرارة تحملهُنَّ على أن ينسينَ أنفسهنَّ فيلمسنَ عُقودهنَّ في أجيادهنَّ خوفًا عليها أن تكون قد انفرطت حين يجدن أشباه جواهرها في الحصا. ثمَّ إنّ هذا الجو البديع المتألِّف من الظِّلال الوافرة والحصا المُتألِّق والينابيع المُترقرقة والصَّبايا الحالية بالزِّينة لا بدَّ فيه من نسيم رُخاء وأن رقيق شائق ليس بالكثير ينظمه ذلك

([1]) رواية البداية والنهاية: ليأذن.

([2]) رواية البداية والنهاية: تروعُ.

([3]) تراجم الأدباء: 59، وفيات الأعيان: 1\143، والبداية والنهاية: 12\69، ومعجم البلدان: 5\202.

الوادي تنظيمًا فلا يأذنُ منه إلاَّ بمقدار. كلُّ ما في هذه المقطوعة يوحي بحلاوة ذلك الوادي، وملاحة النُزول فيه.

ومن أمثلة ذلك أيضًا قول البهاء زهير (ت656هـ): (الطويل)

تَعـالوا بِنـا نَطـوي الحَـديثَ الَّـذي جَـرى ... فـــلا سَـــمعَ الواشـــي بِـــذاكَ وَلا دَرى
تَعـالوا بِنـا حَتّـى نَعـودَ إِلـى الرِضـى ... وَحَتّـــى كَـــأَنَّ العَهـــدَ لَـــن يَتَغَيَّـــرا
وَلا تَـذكُروا الـذنّب الَّـذي كـانَ بَينَنـا ... عَلـى أَنَّـهُ مـا كـانَ ذَنـبٌ فَيُـذكَرا[1]

نلحظ في هذه الأبيات السلاسة والألفة فهي لا تحتاج إلى إطالة نظر في المعجمات اللغوية وذلك للوقوف على دلالتها، بل هي ألفاظ رقيقة معبرة عن معانيها فالشاعر هنا أكثر من استعمال الجمل الفعلية، وأن صيغة الافعال تتناسب مع محاولة استمالتهم لطلب الصلح بينهم بألفاظ سهلة تجري في اللسان بعذوبة، فهو هنا يخاطب مشاعرهم ويذكرهم بأيامهم وعهودهم الّتي كانت بينهم.

ومن أمثلة ألفاظهم الجزلة الفخمة ما ورد في قول ابن عمّار (ت477هـ): (الطويل)

ملـوكُ منـاخُ العـز فـي عَرَصاتـهم ... ومثـوى المعـالي بـين تلـك المعـالمِ
هـمُ البيـتُ مـا غيـر الظُبـا لبنائـهِ ... بـــأسٍ ولا غيـــر القَنـــا بدعـــائمِ
إذا قَصّـرَ الـروعُ الخُطـا نهضَـتْ بهـم ... طـوالُ العـوالي فـي طـوالِ المعاصـمِ
نـدامى الـوغى يُجـرون بـالموتِ كاسـها ... إذا رجعـــتْ أســـيافُهُم بالجمـــاجمِ
هنـاك القَنـا مجـرورة عـن حفـائظٍ ... وثـمَّ الظّبـا مهـزوزةٌ عـن عـزائمِ
إذا ركبـــوا فـــانظر أولَ طـــاعنٍ ... وإن نزلـوا فارصُـدْهُ آخـر طـاعم[2]

([1]) تراجم الأدباء: 372، وديوان البهاء زهير: 105.

([2]) تراجم الأدباء: 220، محمّد بن عمار الأندلسي، د. صلاح خالص: 209.

نجد أنَّ الشَّاعِرَ لم ينفرِد عن غيره من الشعراء في استعمال ألفاظ مألوفة، لكن بإحساسه، وموهبته استطاع أن ينسجها بطريقته ويوجهها للمتلقي مِمَّا يجعله يتأثّر بها ويتجاوب معها، ويختار الشَّاعرُ الألفاظ الَّتي تتناسبُ مع مناسبة النّصّ وهي المديح والمديح مقامٌ يُلزم أن تكونَ ألفاظهُ جزلة بما يتناسبُ مع مقامِ الممدوحِ، فيعمد الشاعر إلى انتقائها واختيارها انتقاءً واعيًا مدروسًا يخرجُ بهِ عن حدِّ الإسفافِ والسَّفسطةِ ليرتقي إلى مقام الجزالة والقوّة والمتانة، فاستعمل ألفاظًا وصورًا تشي بذلكَ منها (ملوك، المعالي، بأس، العوالي، الوغى، أسيافهم، القنا) على نحو بارع يزيد من تماسك النص وفصاحته وجزالة أسلوبه بما يضمن أكبر قدر من التأثير في المتلقي.

وأما ألفاظ الرثاء في (تراجم الأدباء)، فلم تختلف عن الألفاظ في معجم الشعر العربي، وذلك باستعمالهم ألفاظ (الفجيعة، القبر، الردّى، البكاء، الموت، النعش، الدمع، البلاء) ومثال ذلك ما جاء في قول ابن اللبانة الدّاني (ت507هـ): (البسيط)

تبكـــي الســـماء بـــدمعٍ[1] رائـــحٍ غـــادي علـــى البهاليـــلِ مـــن أبنـــاء عبّـــادِ[2]

نلحظ من هذه النتفة أن الشاعر قد استعمل لفظة (تبكي) و(بدمع) للسماء للدلالة على مدى حزنه وتفجعه، فالسماء بسحبها تبكي على السادة من بني عباد لزوال ملكهم وانقضاء أمرهم.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما جاء في قول المتنبي (ت354هـ): (الكامل)

الحُـزنُ يقلـقُ والتحمـلُ يـــردعُ والـدمـعُ بينهمـا عصـــيٌّ طيِّـــعُ[3]

([1]) رواية الديوان: بمزنٍ.

([2]) تراجم الأدباء: 190، وديوان ابن اللبّانة الدّاني: 56.

([3]) تراجم الأدباء: 293، وديوان المتنبي: 3\12.

والقصيدة طويلة وألفاظها جزلة أورد البغداديّ منها أبيات أخرى[1]،حملت معاني عدة دلت على حزنه وألمه فيقول هنا: أن الحزن يحملني على الجزع والتجمل يردعني عن الجزع، فدمعي متحير بين القلق والتجمل، يعصي التجمل ويطيع القلق.

ثانيًا – التـراكـيـب:

تنوعت الأساليب التركيبيّة عند شعراء "تراجم الأدباء" بتنوع المقاصد والأغراض الّتي نظموا فيها.

فالتركيب ((هو عملية ذهنية تتطلب جمع ألفاظ متفرقة ودمجها فيما بينها بشكل منسق لتعبر بشكل منسق، لتعبر عن معنى يستمد دلالته من الدلالة اللغوية والاصطلاحية والمجازية لهذه الألفاظ))[2].

فالتراكيب اللغوية تؤدي دورًا مهمًا في صياغة الجمل الشعرية، وإثرائها من حيث الدلالة الّتي تغني البناء الشعري وتمنحه وظيفة جمالية وإيحائية[3] فاللغة لا تؤدي غرضًا، ولا تفيد معنى إلا إذا ارتبطت كلماتها بعضها بالبعض وصارت كل لفظة متصلة بالأخرى، ومن خلال هذا الترابط تظهر المعاني والأفكار الّتي تحتويها النصوص اللغوية [4]

فالتراكيب عملية ضرورية في بناء أي نص شعري؛ لأن الألفاظ المفردة لا تصنع لغة شعرية حتى تؤلف تركيبًا يؤدي الفكرة الّتي يقصدها الشاعر[5].

([1]) تراجم الأدباء: 294.

([2]) المعجم المفصل في اللغة والأدب: 1\244.

([3]) ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي: 28.

([4]) ينظر: النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع للهجرة، د. عبد الهادي خضير نيشان: 171.

([5]) ينظر: دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: 503.

وعليه سنستعرض هنا أهم التراكيب الّتي شاعت في النتاج الشعري في "تراجم الأدباء" والّتي تميزت بتنوعها، فجاءت معبرة عن انفعالات الشاعر ومشاعره الّتي يستطيع بثها إلى المتلقي من خلال إيثار ذلك التركيب على الآخر في أبياته.

ولعل من أهم التراكيب شيوعًا التراكيب الطلبية؛ وذلك لأن معانيها لا تحتاج إلى الحجة والبرهان بخلاف الجمل الخبرية الّتي تحتاج إلى تصديق أو تكذيب[1]

ومن هذه الأساليب الشرط، والاستفهام، والتوكيد، والنداء، والأمر والنهي.

1- الشرط:

من التراكيب اللّغويَّة الَّتي كان لها حضور في اختيارات المؤلف الشعرية، ومعناه وقوع الشيء لوقوع غيره[2]، ويكون قائمًا على ((وجود الثاني موقوفًا على وجود الأول))[3]، والأصل فيه ((أن يتوَقَّف الثَّانِي على الأوَّلِ بمعنَى أنَّ الشَّرطَ إِنَّما يُستحقُّ جوابهُ وقوعهِ هو في نفسهِ))[4].

فقد استعان به الشعراء لاستظهار مشاعرهم، ووصف تجاربهم وبثها في المتلقي بشكلٍ واضحٍ وسليمٍ عن طريق أدواته المختلفة مع فعل الشرطِ وجوابهِ، فيأتي هذا الأسلوب من إحدى أدواتِهِ هي (إذا) الشرطية والّتي تعد من أكثر الأدوات استعمالًا عند شعراءِ "تراجم الأدباء"

([1]) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس اسماعيل الأوسي: 31.

([2]) ينظر: معاني النحو: 4\450.

([3]) شرح المفصل: 8\155.

([4]) البرهان في علوم القرآن: 2\354.

والأصل فيها ((أن تكون للمقطوع بحصوله وللكثير الوقوع))[1] وغالبًا ما تقع في الصدارة، وعادة تكون مسبوقة بـ(الفاء) أو(الواو) وتليها (ما) الزائدة. ومن أمثلة هذا الأسلوب قول ابن فارس (ت395هـ): (المتقارب)

إذا كنـــتَ فـــي حـــاجةٍ مُـــرسِلًا وأنـــتَ بهـــا كَلـــِفٌ مُغـــرَمُ
فأرســـلْ حكيمـــًا ولا تُـوصِـــهِ وذاكَ الحكـــيمُ هـــو الـدّرِهَـــمُ[2]

استعمل الشاعر اسلوب الشرط وسيلة للإفصاح عن روح السخرية من متناقضات زمانه، وتتجلى هنا في هزئه من قيم مجتمعه الّذي يوقر مالك الدينار والدراهم.

وقد تأتي (إذا) الشرطية مقرونة بـ (الواو) في صدارة الجملة كما في قول ابن زبادة (ت594هـ): (الخفيف)

قـــد ســـلوتُ الـــدنيا ولـــم يســـلها مـــن علقـــتْ فـــي آمالـــه والأراجـــي
وإذا مـــا صـــرفتُ وجهـــي عنهـــا قَـــذَفوني فـــي بحرهـــا العجّـــاجِ
يستضـــيئون بـــي وأَهْلَـــكَ وحـــ ـــدي فكـــأني ذبالـــةً فـــي ســـراجِ[3]

جاء الشاعر بالأداة (إذا) و(ما الزائدة) والفعل الماضي (صرفتُ) وأخبرنا بأن متى ما صرف وجههُ عن الدنيا واعرض عنها أسرع بقوله (قذفوني في بحرها العجّاجِ) جملة جواب الشرط، وكان هذا الفعل ماضيًا أيضًا، وهذا التوحد في زمن الفعل يقوي بناء البيت ويزيد من جماله.

([1]) معاني النحو: 4\450.

([2]) تراجم الأدباء: 332، وفيات الأعيان: 1\120.

([3]) تراجم الأدباء: 170، والروضتين في أخبار الدولتين: 21، والبداية والنهاية: 16\682، ومرآة الزمان: 14\454.

أما الأداة (إن) والّتي ((تستعملُ في المعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في حصولها، والتي تكون نادرة ومستحيلة التحقق، وهي تقتضي تحقيق شيء ولا تستلزم تحقق وقوعه))[1]، ومن أمثلة ذلك قول قطرب (ت83هـ): (البسيط)

إن كنتَ لَستَ مَعي فَالذِكرُ مِنكَ مَعي ... يَراكَ قَلبي إذا[2] غُيِّبتَ عَن بَصَري
العَينُ تُبصِرُ مَن تَهوى وَتَفقِدُهُ ... وَباطنُ القَلبِ لا يَخلو مِنَ النَظَرِ[3]

توافرت في هذه النتفة أركان الشرط الثلاثة، وهذا ما جعل السياق متناسقًا في طريقة سبكه لألفاظه وطرح معناه عبر أسلوب الشرط، وبقية العناصر الّتي تألف منها السياق.

وأما (لو) الشرطية فهي عادةً تكون ((فاصلة بين صورتين الأولى مفترضة والثانية مستنتجة))[4] وغالبًا ما تتصدر الكلام في الشعر ((والشرط بلو يعبر عن أمنية من الأماني أو عما لا رجاء في تحقيقه، ولا طمع في وقوعه))[5] وغالبًا ما يعقبها (كان) أو فعل ماضي أو (أن) المؤكدة أو تأتي مقترنة (بالفاء) و(الواو) ومثال ذلك قول أبو يحيى محمد بن كناسة (ت207هـ): (المنسرح)

لَوكان يُنجي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجَّاكَ مِمَّا أصابَكَ الحَذَرُ
يرحَمُكَ اللهُ مِن أخي ثِقَةٍ ... لم يكُ في صَفو وُدِّهِ كَدَرُ[6]

([1]) ينظر: معاني النحو: 4\448.

([2]) رواية وفيات الأعيان: وإن.

([3]) تراجم الأدباء: 106، وفيات الأعيان: 4\313.

([4]) الصورة الفنية معيارًا نقديًا، د. عبد الإله صائغ: 405.

([5]) في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: 297.

([6]) رواية البيت في محمد بن كناسة الأسدي: يَرْحمُك اللهُ من أخ يا أبا الـ قاسم، ما في صفاته كَدَر.

فَهكذا يـــذهبُ[1] الزّمـــانُ وَيَـف نَى العِلمُ فِيهِ ويَـــدرُسُ الأثَـــرُ[2]

فتمنى الشاعر هنا لوكان يخلص من الموت الحذر لحصن نفس منه، وهو متأكد أن الحذر لا ينجي من الموت الّذي لا ينجو منه أحد فهو حقيقة حتمية الحدوث لأي كائن حي.

2- الاستفهام:

وهو أسلوب لغوي قائم على طلب الفهم أو طلب العلم بشيءٍ[3]، ويُعَدُّ من أكثر أساليب الطلب وقوعًا في الشعرِ العربي وأوسعها لما ينماز به من كثرة أدواته ومعانيه المختلفة، وإنَّ لهُ حقُّ الصّدارةِ في الكلام، فلا يجوز تقديم شيءٍ عليه[4]، وقد استعان بهذا الأسلوب شعراء "تراجم "تراجم الأدباء" محققين عنصر التشوق لدى السامع، ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في قول ظافر الحدّاد (ت529هـ): (المتقارب)

عجبـــتُ لجـــرأةِ هـــــذا الغـــزالِ وأمـــــــرٍ تَخطَّـــى لـــــه واعتمـــدْ

وأعجـــــبْ بـــــه إذا بـــــدا جاثمًـــــا وكيـــف اطمـــأنّ وأنـــت الأســـد[5]

استعمل الشاعر هنا اسم الاستفهام (كيف) وقد خرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي وهو الإنكار والتعجب، فالشاعر يتساءل عن سكينة الغزال وهو بحجره.

ومن أدوات الاستفهام الّتي وصفها النّحاة بأنّها أداة الاستفهام الأصليّة وهي الهمزة والّتي لا تستعمل مع غيره، وهي أوسع الأدوات استعمالًا، لأنّها تأتي للتّصور والتّصديق على حدٍّ

([1]) رواية محمد بن كناسة الأسدي: يفُسدُ.

([2]) تراجم الأدباء: 65، محمد بن كناسة الأسدي، حياته، شعره نصوص باقية من كتابه الأنواء:321.

([3]) ينظر: التعريفات: 22.

([4]) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 308.

([5]) تراجم الأدباء: 141، وديوان ظافر الحداد: 344.

سواء[1] ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول النّامي (ت399هـ): (الوافر)

أتــاني فــي قمــيص الــلاذ يســعى ... عـــــدولي يلقـــــب بالحبيـــــب
وقـــد عبـــث الشـــراب بمقلتيـــه ... فصـــير خـــده كســـنا اللهيـــب
فقلـــت لـــه بمـــا استحســـنتَ هـــذا ... لقـــد اقبلـــت فـــي زي عجيـــب
أحمـــرة وجنتيـــك كســـتك هـــذا ... أم أنـــتَ صـــبغته بـــدمِ القلـــوب
فقـــال الـــراحُ أهـــدتْ لـــي قميصًـــا ... كلـــونِ الشـــمسِ فـــي شـــفقِ المغيـــبِ
فثـــوبي والمـــدامُ ولـــونُ خـــدّي ... قريـــبٌ مـــن قريـــبٍ مـــن قريـــبِ[2]

جاء الاستفهام هنا بـ(الهمزة) مع وجود أم المعادلة فهو استفهام تصوري يولد انطباعًا لدى المتلقي بين أن يختار ما قبل (أم) أو ما بعدها، ويترك ذلك للمتلقي فهو يحدد ذلك، وقد أراد الشاعر منه وهو في قوله (أحمرة) جذب انتباه السامع وإثارة وجدانه وإشراكه في التفكير مع الشّاعر فيجعله متشوقًا إلى معرفة الجواب بنفسه.

وقد نجد الشاعر يستعمل أكثر من أداة كما في قول ابن الفارض (ت632هـ): (الكامل)

لـم أَخـلُ مـن حَسَـدٍ عليـك فـلا تُضِـعْ ... سَـــهَري بتَشْـــنِيع الخَيـــالِ المُرجِـــفِ
واســأَلْ نجــومَ اللّيــلِ هــل زارَ الكَــرَى ... جَفنـي وكيـف يـزورُ مَـن لـم يَعْـرِفِ[3]

عمد الشاعر إلى تكرار أسلوب الاستفهام مستعملًا أداتي الاستفهام (هل)، و(كيف)، وأراد من وراء ذلك أن يحقق عنصري الاستجابة والإثارة في ذهن السامع فيجعله متشوقًا إلى معرفة الجواب، عن طريق تحول المعنى للاستفهام إلى معنى مجازي يفيد النفي.

([1]) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 319.

([2]) تراجم الأدباء: 149، وشعر النّامي: 41.

([3]) تراجم الأدباء: 298، وديوان ابن الفارض: 89.

3- التوكيد:

من الأساليب الّتي يلجأ إليها الشاعر وذلك بهدف تقوية كلامه عن طريق تأكيد المؤكد الّذي يزيل الشك والسهو والنسيان، الّذي قد يراود ذهن المتلقي للخطاب و((لتزيد من حدة الخطاب وإبراز ملامحه المضمونية))[1] لذا هو ((تثبيت الشيء في النفس وتقوية أمره، والغرض منه إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك وإماطة ما خلجه من الشبهات))[2]. ومن هذه المؤكدات (أنَّ) وقد تتصدر الأبيات أو تدخل ضمن نسيجها لتكون مؤكدة على أقوال الشعراء، وخطابهم مع المتلقي ومن أمثلة ذلك قول ابن عُنَيْن (ت630هـ): (الكامل)

سـامَحتُ كُتبَـكَ فـي القَطيعَـةِ عالمًـا أَنَّ الصَـحيفَةَ لـم تجـدْ [3]مـن حامِـلِ

وَعَـذَرتُ طَيفَـكَ فـي الجَفـاءِ لِأَنّـهُ يَـرى[4] فَيُصـبِحُ دونَنـا بِمَراحِـلِ[5]

إن وجود حرف التوكيد (أنّ) في تصدر الأبيات أوفي نسيجها وتشديد النون مع فتح همزتها المتقدمة، وتكرار صوت النون المهموس، جعل كلامه أكثر رقه وصدق، فالشاعر هنا يؤكد على مسامحتهم في عدم بعث الرسائل لعدم وجود من يوصلها إليه وعدم بعث الخيال.

ومن وسائل التوكيد (قد) الّتي وردت في اختيارات المؤلف الشعرية نحو قول الرِيَاشي (ت257هـ): (البسيط)

([1]) لغة شعر ديوان الهذليين، علي كاظم محمد علي المصلاوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة: 122.

([2]) في النحو العربي نقد وتوجيه: 234.

([3]) رواية الديوان: أعوزت.

([4]) رواية الديوان: يَسري.

([5]) تراجم الأدباء: 378، وديوان ابن عُنين: 86.

أنكـرت مـن بصـري مـا كنـتُ أعرفـه واسـترجعَ الـدهرُ مـا قـد كـان يُعطينـا
أبعـــدَ ســـبعينَ قـــد ولّـــتْ وســـابعةً أبغـي الـذي كنـتُ أبغيـهِ ابـن عشـرينا[1]

ومن الأساليب الأخرى في التوكيد عند شعراء "تراجم الأدباء" التوكيد بالقسم نحوقول البسّامي (ت303هـ): (الكامل)

تـــاالله إن كانـــتْ أميـــةُ قـــد أتـــتْ قَتْـــلَ ابـــنِ بنْـــتِ نبيّهـــا مَظلومَـــا
فلقـــد أتـــاه بنـــو أبيـــه بمثلهـــا هـــذا لعمـــرك قبـــرهُ مهـــدوما
أسِـــفوا علـــى أنْ لا يكونـــوا شـــاركوا فـــي قتلِـــهِ فتتبّعـــوهُ رَميمـــا[2]

استعمل الشاعر في هذا النص جملة من المؤكدات منها (قد، واللام المزحلقة)، وكذلك القسم في قوله (تالله، ولعمرك) وذلك ليزيد من تأكيد الكلام.

وأما التوكيد بأسلوب القصر والحصر، فهو من أقوى أنواع التوكيد، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول عُبيد الله بن طاهر (ت355هـ): (السريع)

وإنّمـــــا العلـــــم لأربـــابِـــهِ ولايـــتةٌ ليـــس لهـــا عَـــزْلُ[3]

إذ أكدت (إنّما) مضمون الجملة عن طريق القصر، إذ قصرت المبتدأ على الخبر فدلت على توكيد الجملة الأسمية الّتي دخلت عليها.

([1]) تراجم الأدباء: 28، وفيات الأعيان: 3\27، وطبقات النحويين واللغويين: 97، والأنساب: 6\209، والبداية والنهاية: 11\38.

([2]) تراجم الأدباء: 89، وديوان ابن بسام البغدادي: 56.

([3]) تراجم الأدباء: 247، وفيات الأعيان: 3\120.

4- النداء:

من التراكيب الإنشائيّة الّتي يعمد الشعراء إلى استعمالها في قصائدهم لأنّ يمثل تنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له[1]، وهو ((طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو))[2]، بإحدى الأدوات وهي ((الهمزة، أي، يا، أيا، هيا، أ، أي، وا))، وكثيرًا ما يخرج إلى معان مجازية تفهم من السياق ومن أمثلة ذلك قول البدر لؤلؤ الذهبي (ت685هـ): (المجتث)

يـــــا عـــاذلـــي فـــي هَـــواهُ إذا بـــــــدا كيـــــفَ اسلـــــو
يمـــــرّ فـــــي كـــــل وقـــــتٍ وكلّمـــــا مـــــــــرّ يحْلـــــو[3]

استعمل الشاعر أسلوب النداء متمثلًا بحرف النداء والمنادى والمضاف إليه، واستدعى حوارًا خارجيًا بينه وبين غيره لكي يكون مدخلًا يستدعي به الشاعر انتباه المخاطبين من أجل إيصال رسالته الشعرية الّتي مضمونها أنّه يسأل العذال الّذين يلومونه في حبه ماذا يفعل عندما يراه كل يوم، وقد زاد جمالًا.

ومن أمثلة النداء قول أبوبكر بن الأزهر (ت325هـ): (المتقارب)

أيـــــا طـالـــبَ العلـــمِ لا تَجْهَلـــنْ وعُـــــــذْ بالمبـــــرّدِ أو ثَـعْلَـــــبِ
تجـــدْ عنـدَ هـــذينِ علـــمَ الـــورى فـــــلا تـــــكُ كالجَمـــل الأجْـــرَبِ
علـــــومُ الخـــــلايـــقِ مقـــرونـــةٌ بهـذينِ فـــي المشـرقِ والمغـــرِبِ[4]

([1]) ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية: 85.

([2]) علم المعاني: 114.

([3]) تراجم الأدباء: 208، وديوان ابن لؤلؤ الذهبي: 71.

([4]) تراجم الأدباء: 312، وفيات الأعيان: 4\314.

استعان الشاعر هنا بأسلوب النداء لاستقطاب انتباه المتلقي، وايصال معانيه، فعمل على توظيف الأداة (أيا) فكأنه أراد استدعاء انتباه الساعي في طلب العلم بهما، وقد خرج من معناه الحقيقي إلى معنى النصح والإرشاد.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما جاء في قول المعافى بن زكريا (ت390هـ): (المجتث)

يـــــا مِحْنَـــةَ الـــدهـــرِ كُفِّـــي إنْ لَـــــمْ تَكُـفِّـــــي فَخِفِّـــــي
قـــــــد آنَ أنْ تـرحمينـــــــا مـــــن طـــــول هـــــذا التَّشَفِّـــي
طلبـــــتُ جَـــــــدًا لنفســـــي فقيـــــل لـــــي قـــــد تـــوفـــي
فـــــــلا علـــومـــــي تجـــــدي ولا صنـــاعـــــــة كـفـــــــي
ثَـــــوْرٌ ينـــــــالُ الثُّـــرَيَّـــــا وعَـــــالِـــــــمٌ مُتَخَـفِّـــــــي[1]

سلك الشاعر في ندائه مسلك الزجر والملامة فضلًا عن الاستعطاف الذي استدعى من الشاعر أن ينادي طالبًا التنبيه بحاله مستعطفًا إياه راجيًا أنّ تزول منه المحنة، فالنداء هنا لا يراد به حقيقة النداء، وإنما يراد به معنًا مجازيًا.

5- الأمر والنهي:

الأمر هو طلب على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربعة صيغ وهي صيغة فعل الأمر، والمصدر النائب عنه، والفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، واسم فعل الأمر[2]؛ وكثيرًا ما يخرج هذا الأسلوب إلى عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي كالدعاء، والالتماس، والتعظيم، والنصح والإرشاد.

([1]) تراجم الأدباء: 151، وبغية الوعاة: 2\293.

([2]) ينظر: جواهر البلاغة: 80.

ومثال ذلك ما ورد في قول ابن الزيّات (ت233هـ): (الوافر)

سَـــماعًا يـــا عِبـــادَ اللَّـــهِ مِنّـــي ... وَكُفّـــوا عَـــن مُلاحَظَـــةِ المَـــلاحِ
فَـــإِنَّ الحُـــبَّ آخِـــرُهُ المَنايـــا ... وَأَوَّلُـــهُ يُهَـــيِّجُ بِـــالمِزاحِ
وَقـــالوا دَع مُراقَبَـــةَ الثُرَيّـــا ... وَنَـــم فَاللَّيـــلُ مُســـوَدُّ الجَنـــاحِ
فَقُلـــتُ وَهَـــل أَفـــاقَ القَلـــبُ حَتّـــى ... أُفَـــرِّقَ بَـــينَ لَيلـــى وَالصَّـــباحِ[1]

فقد استعمل الشاعر صيغة الأمر ثلاث مرات في هذه المقطوعة في قوله (كُفوا، دع، نم) ليؤكد معنى النصح والإرشاد، فخرجت صيغتا الأمر عن معناهما اللغوي إلى معنى مجازي.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما جاء في قول القاضي أبو علي التنوخّي (ت384هـ): (الكامل)

قـل للمليحـةِ فـي الخمـارِ المـذْهَبِ ... أفسـدت نسْـكَ أخـي التقـي المُترهّـبِ
نـورُ الخمـارِ ونـورُ وجهـكِ تحَتـهُ ... عجبًـا لوجهِـكِ كيـفَ لـم يتلهّـبِ
وجمعـتِ بـين المـذهبينِ فلـم يكـن ... للحسـنِ عـن ذهبيهمـا مـن مـذهبِ
وإذا أتـتْ عـينٌ لتسـرقَ نظـرةً ... قـال الشـعاعُ لهـا اذهبـي لا تـذهبي[2]

إنّ النّبرة الأمرية الّتي يحملها النَّصُّ ليست من باب الاستعلاء أو تنفيذ الأمر، إنمّا هي طلبُ حُسنٍ يُرادُ به الالتماس الّذي يكون بين شخصين متساويين في المنزلة والرتبة هما الشاعر والمحبوبة، وأما في قوله: (اذهبي لا تذهبي) فقد أفاد أسلوب الأمر معنى التسوية.

ومن أمثلة ذلك قول الوداعي (ت710هـ): (الخفيف)

قيـــل إن شـــئتَ أنْ تـــكون غـــنيًّا ... فَتَـــزَوّجْ وكُـــن مـــن المُحصنـــينا
قـــلت مـــا يقـــطع الإلـــه بحـــرّ ... لم يضعْ بينَ أظهرِ الُمسلمينا[1]

([1]) تراجم الأدباء: 76، غير موجودة في ديوانه.

([2]) تراجم الأدباء: 155، وفيات الأعيان: 3\367، غير موجودة في مجموعته الشعرية.

قد خرج الأمر في هذه النتفة إلى غرض مجازي أفاد النصح والإرشاد من خلال قوله (فتزوج)، (وكن) فالأمر جاء على غير حقيقته عُرف من السياق التركيبي للبيت.

وأما أسلوب الأمر هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المقرون بـ(لا) الناهية الجازمة[2]، وهو خلاف الأمر إلا أنّه يتّفق معه في أن يكون فيه استعلاء، وتعلقه بغيره مع دلالة مختلفة، فلأمر هو طلب التنفيذ، والنهي الكف عن ذلك[3].

وكان هذا الأسلوب هو الأقل حضورًا في اختيارات البغداديّ الشعرية قياسًا بالأساليب الأخر، وقد يرجع سبب ذلك لأنه يحتوي على صيغة واحدة وهي (لا الناهية والفعل المضارع)، وقد يخرج أسلوب الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية تفهم من السياق، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قول السراج الورّاق (ت695هـ): (البسيط)

لا تحجب الطيفَ إنّي عنهُ محجوبُ ... لم يبقَ منى لفرط السّقم مطلوبُ
ولا تثقْ أن يأتيّني إنّ موعدهُ ... بأنْ أعيشَ للُقْيا الطّيف مكذوبُ
هذا وخدّك مخضوبٌ يشاكلُهُ ... دمعٌ يفيضُ على خدّي مخضوبُ
وليس للوردِ في التشبيهِ رتبةٌ ... وإنّما ذاكَ من معناهُ تقريبُ[4]

([1]) تراجم الأدباء: 338، وفوات الوفيات: 3\98 والشيخ علاء الدين الوداعي الكندي حياته وشعره وما بقي من ديوانه: 101.

([2]) ينظر: مفتاح العلوم: 429.

([3]) ينظر: البلاغة والتطبيق: 121.

([4]) تراجم الأدباء: 255، وفوات الوفيات: 3\141.

استهل الشّاعر مقطوعته بنهي وهو قوله (لا تحجب) وقد خرج من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي ليفيد إظهار عدم جدوى فعل (تحجب) فنهى عنه لعدم جدواه، وأما النهي في قوله (لا تثق) قد خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي يفيد النصح والإرشاد.

المبحث الثاني

الصــورة الفنــية

التصوير أمرّ فطري في الإنسان، فهو شغوف بطبعه أن ينقل للآخرين ما قد شاهد، أو سمع، أو عايش من تجارب وجدانية، وأحداث متعددة الجوانب والاتجاهات، تظل مختلجة في داخله إلى أن ينقلها إلى غيره، فيجعل المتلقي يحس بما يحس، ويشعر بما يشعر، بقدر إحساسه وشعوره لتلك الأمور.

ولذا تعد الصورة في العمل الأدبي دعامة من دعاماته الأساسية، ولبنة من لبناته الّتي يتكأ عليها الشاعر في نقل أفكاره وعواطفه؛ لأنه ((عندما يلجأ إلى الصورة فإنه يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في وجدان المتلقي لشعره، وجعله يعيش التجربة الّتي عبر عنها، ويتفاعل معها سلبًا أو إيجابًا، سواء كانت التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها، أو عامة أحس بها حوله فعمد إلى جمع عناصرها، ولم شتاتها، وقام بمعايشتها والاندماج فيها، ثمّ عبر عنها ونقلها إلينا، ثمّ حملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك))[1].

والصورة الشعرية هي الوعاء الّذي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معًا إلى المتلقي[2]، ومن أقوى الملكات المبدعة لهذا الوعاء الفني، الخيال الّذي يجسد صور الشاعر من ناحية، وهو الّذي يركز ما فيها من إحساس ومشاعر تتضافر جميعًا لتخرج لوحاته وترسم صوره، وكلما كان الخيال مركزًا كانت صور الشاعر غنية بالإيحاء والتعبير[3].

ومن أجل توضيح الصورة الفنية الّتي رسمها شعراء " تراجم الأدباء" في نصوصهم الشعرية سنقتصر في دراساتها على الأنواع الأكثر شيوعًا في التعبير عن المعاني، وهي التشبيه والاستعارة والكناية.

([1]) الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية، د. مفرح إدريس سيد: 352.

([2]) ينظر: أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب: 242.

([3]) ينظر: مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، فاطمة سعيد أحمد، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى:318.

أولًا – التشبيه:

يعد التشبيه من أهم الوسائل الّتي تقوم عليها الصورة الفنية، إذ تعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، لأنه يعمل على نقل إحساس الشاعر من حيز تقريري إلى خلق فني مرتبط بقدرته الذهنية على الارتقاء بخياله، فهو يعبر عن حالات لا يمكن تجسيدها إلا به، وتصبح المتعة الّتي يمنحها هذا التشبيه قرينة الكشف لتلك التجربة، وكلمّا كان هذا التشبيه من ابتكار الشاعر كان له رونقًا وجمالًا وحيويّةً، ولأنّه يدل على أنّ الشّاعر يستمدّ صوره من خياله الخصب بشتّى صوره، والتّشبيهات ليست على درجة واحدة من الجمال والرّونق، والبعد التّصويري، إنّما تتفاوت أبعادها تبعًا لمقدرة الشّاعر الفنّيّة وعمق خياله، وإظهار براعته في إيصال الفهم للمتلقّي والبحث عن نقاط التّماثل والالتقاء، وهذا يعطي للنّص عنصرًا فنّيًّا قويًّا من عناصر الجمال في التّعبير[1]، ومن أمثلة ذلك قول ابن الفارض (ت632هـ): (البسيط)

أعـــوامُ إقبـالِـهِ كاليَـومِ فـــي قِصَـرٍ ويومُ إعراضِه في الطّول كالحِججِ[2]

شبه الشاعر أعوام إقبال ذلك الحبيب في القصر كاليوم، ويوم إعراضه وصدوده يراه في الطول كالأعوام، وهو تشبيه تام الأركان حيث أبقى على المشبه وهو (أعوام إقباله)، والمشبه به وهو (اليوم) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه وهو (القصر)، كذلك الأمر في عجز البيت حيث أبقى على المشبه وهو (يومَ أعراضه)، والمشبه به (الحججِ) وأداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه وهو (الطول).

ومن أمثلة ذلك أيضًا قول المتنبي (ت354هـ): (الوافر)

([1]) ينظر: علم البيان: 30.

([2]) تراجم الأدباء: 34، وديوان ابن الفارض: 144.

كَـــأَنَّ الهـــامَ فـــي الهَيجـا عُيـونٌ وَقَـــد طُبِعَـت سُـيوفُكَ مِـن رُقـادِ
وَقَـــد صُغـتَ الأَسِـنَّةَ مِـــتن هُمـومٍ فَمـــا يَخطُـــرنَ إِلّا فـــي فُـــؤادِ[1]

قد عمد الشاعر في التشبيه إلى تشكيل صورة ذات دلالات حسية ومعنوية مرتبطة بفكرة النص ومبدعة من الأداة (كأنّ) الّتي أفصحت عن قدرتها على تشكيل صور تتضمن اختلاجات عميقة قادرة على تشكيل صور فالشاعر في هذا النص يتحدث عن تدحرج الرؤوس بيد سيف الدولة في المعركة، وعن دقة رميه، إذا رمى فالرؤوس كالعيون وسيوف سيف الدولة هي نومها، وأسنته صيغت من الهم فهي إذًا لا تستقر إلا في القلوب لأن القلوب هو مستوعب الهموم. ومثل هذا الوصف الخيالي الإبداعي جعل صورة المعركة حية رائعة متجددة.

ومن أمثلة ذلك أيضًا قول الطغرائي (ت515هـ): (الكامل)

ســـافر تنـــل رتـــب المفـــاخر والعـــلا كالـــدر ســـار فصـــار فـــي التيجـــانِ
وكـــذا هـــلال الأفـــق لـــوترك الســـرى مـــا فارقتـــهُ معـــرةَ النقصـــانِ[2]

رسم الشاعر صورة تظهر لنا العزّ في النقل في قوله (نيل المعالي والعلى)، وهي أمور معنوية لا تدرك بالحواس، والشاعر لكي يوضح ذلك استعان بصورة أخرى من الواقع تدعم كلامه وتجربته لما جرب وجود العز في الحركة والنقلة، وهي صورة الدر الّذي يعلو التاج، والهلال الّذي يكتمل بمسيرته فلو توقف لظل هلالًا.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول ابن قلاقس الإسكندري (ت567هـ): (الخفيف)

([1]) تراجم الأدباء: 133، وديوان المتنبي: 2\288.

([2]) تراجم الأدباء: 204، لم أعثر عليها في ديوانه.

ربّ ســـوداء وهـــي بيضـــاء معنـــىً نـــافس المســـك عنـــدها الكـــافورُ
مثـــل حَـــبِّ العيـــون يحســـبه النّـــا س ســـوادًا وإنّمـــا هـــو نـــورُ[1]

عمد الشاعر الى وصف جاريته فسلك في التشبيه مسلكًا لطيفًا ورسم لها صورة تشبيهية اشتملت على نظرة الشاعر إلى (لون بشرتها) نظرة جمالية من حيث الحسن، فسواد بشرتها مثل (حبّ العيون) وهو سواد العين، فكلاهما يتشابهان في اللون وعلى رغم من ذلك يراه الشاعر نور كذلك سواد بشرتها.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ورد في قول الجاحظ (ت255هـ): (الوافر)

أَرجـــو[2] أَن تَكـــونَ وَأَنـــتَ شَـــيخ كمـــا قَـــد كُنـــتَ أَيـــامُ الشَـــباب
لَقَـــد كَـــذبتَكَ نَفسَـــكَ لَـــيسَ ثَـــوب ريـــشٌ[3] كَالجَديـــدِ مِـــنَ الثِيـــاب[4]

مجمل النص يحمل في طياته من الندم والألم من تقاعد الضعف والكبر والمرض به، وهنا الشاعر يتمنى بحسرة أن يكون مثلما كان شابًا من القوة والحركة فكأنه يقصد بذلك استغلال الوقت والطاقة.

ومن الأمثلة أيضًا ما جاء في قول ابن دريد (ت321هـ): (الخفيف)

إِمّـــا تَـــرَى رَأسِـــيَ حـــاكى لَونُـــهُ طُـــرَّةَ صُـــبحٍ تَحـــتَ أَذيـــالِ الـــدُّجى
وَاشـــتَعَلَ المُبـــيَضُّ فـــي مُســـوَدِّهِ مِثلَ اِشتِعالِ النارِ في جَزلِ الغَضى[1][2]

([1]) تراجم الأدباء: 251، غير موجودة في ديوانه.

([2]) رواية شعراء بصريّون: أترجو.

([3]) رواية شعراء بصريّون: دريس.

([4]) تراجم الأدباء: 274، وشعراء بصريّون من القرن الثالث الهجري:82.

يستهل الشاعر نصَّهُ ويبنيه على موضوع فحواه نزول الشيب بمفرقه مثل نار تشتعل في جزل الغضى، فلا يزال حاله كذلك حتى يصبح رأسه كأنه نور الصبح من كثرة شيبه، وفي ذلك دلالة على الضعف والكبر، وهنا الشاعر يشبه بياض المشيب وانتشاره في رأسه باشتعال النار في الحطب الغليظ وانتشارها فيه.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ورد في قول الشِّهاب محمود (ت725هـ): (الكامل)

أنزلــتُ موضــعَ عبرتــي[3] وشــكايتي ... دون الأنـــامِ بِمَـــنْ يضـــرُّ وينفـــعُ
وقطعــتُ أطمــاعي بــه عــن خلقــهِ ... إذ كلّهــم مثلــي يخــاف ويطمــعُ[4]

في هذا النص شبه الشاعر جميع الخلق مثله في الخوف من عقاب الله، والطمع في ثوابه.

ثانيًا- الاستعارة:

تعد الاستعارة وسيلة مهمة من وسائل الإبداع في الخطاب الشِّعري، وإحدى خصائصه وسماته الفنية، وهي ضرورية على مستويي التفكير والإبداع، وعلى مستوى إدراك العلاقات بين الأشياء الّتي نحيا بها وبينها، ومعناها ((نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الّذي يبرز فيه))[5]، فتنهض بمحاورها

([1]) رواية الديوان: الغَضا.

([2]) تراجم الأدباء: 355، وديوان ابن دريد: 132.

([3]) رواية الديوان: رغبتي.

([4]) تراجم الأدباء: 352، وديوان "أهنى المنائح في أسنى المدائح" دراسة وتحقيق، زيد غلب الشمري، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة: 155.

([5]) كتاب الصناعتين: 274.

الدِّلاليّة في اختلاف أساليبها عند الشُّعراء على الانزياح القائم على الابتعاد عن النّمط التّعبيري المألوف والواضح، واللّجوء إلى صيغ أخرى تغني اللّغة في التّعبير الشّعريّ وبأسلوب فنّي إبداعي[1]، ومثال ذلك في نص البدر لؤلؤ الذهبي (ت685): (مخلع البسيط)

عــرّج علــى الــدَّهــرِ [2]يــا نـديمي ... ومِـــلْ الـــى ظلـــهْ الظليـــلِ

فالغصـــنُ يلقـــاكَ بابتســـامٍ ... والريـــحُ تلقـــاكَ بالقَبـــولِ[3]

يجد القارئ في هذا النص الاستعارة في قول الشاعر (فالغصنُ يلقاكَ)، وقوله (والريحُ تلقاكَ)، إذ إن (يلقاكَ، وتلقاكَ) مما يختص بهما الإنسان دون غيره، ولكن الشاعر اسبغهما على غير العاقل (الغصن) و(الريح) فجعل الغصنُ تلقاهُ بالابتسامة، وجعل الريحُ تلقاهُ بالقبول فيشخصهما كائنًا حيًا عاقلًا. ويستعير ابن حَمْديس (ت527هـ) (يُهيِّجُ) للأسى ويقول:(المتقارب)

ذَكـــــرتُ صِقِلِّيَّـــةً والأســـى ... يُهَيِّـــجُ[4] لِلنَّفـــسِ تِـذكَـارَهـــا

فَـــإِن كُنـــتُ أُخرِجـــتُ مِـــن جَنَّـــةٍ ... فَإِنِّـــي أُحَـــدِّثُ أَخبَـــارَهـــا

وَلَـــولا مُلـوحَـــةُ مـــاءِ البُكـــا ... حَسِبْـــتُ دُمـوعِـــيَ أَنـهَـارَهـــا[5]

تحققت في هذا النص استعارة مكنية وهي في قوله (والأسى يُهيِّجُ)، وهو من مختصات الإنسان فجعل الأسى يهيجُ ليشخصه كائنًا حيًا عاقلًا، ويوجد بينهما مشاركة وجدانية تبين حال الشاعر. ومن استعارات الشعراء الأخرى قول ابن الساعاتي (ت602هـ): (الكامل)

ولقـــد نَـزَلـــتُ بـروضـــةٍ حَزَينَّـــةٍ ... رتعـــت نواظرنـــا بهـــا والأنفـــسُ

([1]) ينظر: مظاهر من الانحراف الأسلوبي في مجموعة عبدالله البردوني:200.

([2]) رواية الديوان: الزهر.

([3]) تراجم الأدباء: 209، ديوان ابن لؤلؤ الذهبي: 63.

([4]) رواية الديوان: يُهَيّج.

([5]) تراجم الأدباء: 302، وديوان ابن حمديس: 183.

فظللـتُ أعجـب حـين يحلـف صـاحبي والمســـك مـــن نفحاتهـــا يتـــنفَّسُ
مـــا الجـــو إلاَّ عنبـــرٌ والـــدَّوحُ إلاَّ جـــــوهرٌ والأرضُ إلاَّ سُـــــندسُ
ســـفرتْ شـــقائقها فهـــمَّ الأقحـــوا ن بلثمهـــا فرنـــا إليـــهِ النـــرجسُ
فكـــأَنّ ذا خـــدٌّ وذا ثغـــرٌ يحـــا ولـــه وذا أبـــدً عيـــونٌ تحـــرسُ[1]

تتجلى الصورة الاستعارية في قول الشاعر: (روضة حزينة)، و(المسك يتنفس)، وهي استعارة مكنية حيث استعار الحزن للروضة، والتنفس للمسك، وكل ذلك تعبيرًا عن جمال المنظر.

ومن شواهد الاستعارة الأخرى، قول السراج الورَّاق (ت695هـ): (الرجز)

لَمَّـــا رَأَيْـــتُ البَـــدْرَ والشـــمْسَ مَعًـــا وَقَـــد انجَلَـــتْ دُونَهُمـــا الـــدياجِي
حَقَـــرْتُ نَفْسِـــي وَمَضْـــيتُ هَارِبًـــا وَقُلْـــتُ مَـــاذا مَوْضِـــعُ السِّـــراجِ[2]

إنّ الاستعارة في النص هي قوله (رأيت البدر والشمس معًا) فهي استعارة تصريحية قائمة على التشخيص، فالشاعر استعار لفظة (البدر) و(الشمس) للممدوح، تعبيرًا عن مكانته كما أنه لا موضع له معهما لانحطاط رتبته.

ثالثًا- الكناية:

(1) تراجم الأدباء: 215، وديوان ابن الساعاتي: 2\164.

(2) تراجم الأدباء: 255، وخزانة الأدب وغاية الأرب: 1\244، ولم اعثر عليها في سراج الدّين الورّاق حياته وشعره، ميسر حميد سعيد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

تُعَد الكناية من الأركان المهمة في بناء الصورة، وهي من الأدوات الّتي لا غنى للشعراء عنها، وقوامها ((أنّ يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني لا يذكره باللّفظ الموضع له في اللّغة، لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه))[1]، وهذا يعني أنّ الكناية لا تقف عند حدود الدّلالة المباشرة للألفاظ، بل تتعدى إلى التأويل والإيحاء، وهذا يعطي للصّورة بُعدًا جماليًّا من خلال الإيحاء والإثارة، لأن اللّفظ فيها يُطلق ويُراد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى ذاته [2]، ومثال ذلك قول يزيد بن مزيد (ت195هـ): (البسيط)

أذكـــرتَ ســـيفَ رســـول الله ســـنتهُ وبـأسُ أوّلَ مَـنْ صـلّى ومِـنْ صـاما[3]

في هذه النتفة كناية عن الموصوف إذ يعني بأس الإمام علي (عليه السلام) إذ كان هو الضارب به. وأيضا ما جاء في قول أبي البلهاء عُمير بن عامر[4]: (الكامل)

نِعـــمَ الفَتـــى فَجَعَـــت بِـــهِ إخوانَـــهُ يَـــومَ البَقيـــعِ حَـــوادِثُ الأَيّـــامِ
سَـــهلُ الفَنـــاءِ إذا حَلَلـــتَ بِبابِـــهِ طَلَـــقُ اليَـــدَينِ مُـــؤَدَّبُ الخُـــدّامِ
وَإذا رَأَيـــتَ شَقيقَـــهُ وَصَـــديقَهُ لـــمَ تَـــدرِ أَيُّهـــا ذَوو الأَرحـــامِ[5]

عَبَّر الشَّاعر عن صورة فنِّيّة استلهمها من دلالة الكناية من خلال قوله (سهل الفناء) و(طَلَقُ اليَدَينِ مُؤَدَّبُ الخُدّامِ)، وهي كناية على الكرم والسخاء في العطاء أي أنه جعل فناءه سهلا للزوار والعفاة وذلك مثل لكثرة إحسانه إليهم، وقوله: (مؤدب الخدام) تنبيه على اقتدائهم

([1]) ينظر: دلائل الأعجاز: 60.

([2]) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 241.

([3]) تراجم الأدباء: 315، وفيات الأعيان:6\329.

([4]) لم أعثر على ترجمة له.

([5]) تراجم الأدباء: 318، ومعجم الشعراء: 412، وقد نسبت هذه أيضًا الأبيات لمحمد بن بشير الخارجي.

بمولاهم في تفقد الزوار وإكرامهم والسعي في أمورهم، ويقول: أنه لا يتميز صديقه من إخوان المودة عن شقيقه من إخوان الولادة في شمول تفقده لهما وتساويهما في المجد عنده، وهذا هو الغاية في الكرم. ومن ذلك أيضًا قول بكر بن النطاح (ت192هـ) [1]: (الكامل)

قـالـــوا وَينظـــمُ فارِسَـــينِ بِطَعنَـــةٍ يَـــومَ الهيـــاجِ [2]وَلا تـــراهُ كلـــيلا[3]

لا تَعجَبـــوا فَلَـــو أنَّ طـــولَ قَناتِـــهِ مـــيلًا[4] إذا نَظـــم الفَـــوارِسُ مـــيلا[5]

وفي هذه الأبيات الشاعر يحاول أن يبين شجاعة ممدوحه بالصورة الكنائية لإظهار المعنى في قوله (وينظم فارسين بطعنةٍ) كناية عن الشجاع، ثمّ يؤكد الشاعر ذلك بقوله (فلو أنّ طول قناته)، و(ميلًا إذا نظمَ الفوارسُ ميلا).

المبحث الثالث

المـــوسـيـقـــى

تعد الموسيقى عنصرًا مهمًا من عناصر تشكيل البيت الشعري، إذ إنّها تتوافق مع الأفكار، والألفاظ، والصور في تجسيد أسلوب التعبير الشعريّ، والموسيقى تنساب في أبيات الشعر فتحدث أنغامًا تساعد على الكشف عن الحالة النفسية للشاعر، أو التعبير عن حالة

([1]) هو بكر بن النطاح الحنفي، أبو وائل، شاعر غزل، من فرسان بني حنيفة، من أهل اليمامة. انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد، واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقا سلطانيا عاش به إلى أن توفي سنة (192هـ). ورثاه أبو العتاهية بقوله: مات ابن نطاح أبو وائل بكر، فأضحى الشعر قد ماتا، ينظر: الأعلام: 71\2.

([2]) رواية شعر بكر بن النطاح: اللقاء.

([3]) رواية شعره: جليلا.

([4]) رواية شعره: ميل.

([5]) تراجم الأدباء: 367، وشعر بكر بن النطاح:32.

شعورية، فهي الّتي توحي بالظلال الفكرية، والعاطفية لكل معنى، وتصبح تلك الظلال أكثر تأثيرًا في النفس من المعنى المجرد[1] . وبالموسيقى يتميز الشعر عن النثر، ذلك أن الموسيقى تحيل اللفظ إلى نغم يغذي الروح والحس وتتغنى به الألسن، وتطرب له الأسماع، وتهتز له القلوب ويسهل استيعابه وحفظه[2]، فهي المثير الصوتي المؤثر الذي يمتلك به إحساس المتلقي نغمًا يعايش المعاني الذهنية والبصرية الحسية داخل نسيج الصورة، وإذا كانت الصورة تعتمد على المعاينة الّتي تضمن للعين اختزان الكثير من الصور بما يشتمل عليه من أحاسيس ومشاعر، فإنَّ حاسة السمع الّتي تقبل إيقاعات موسيقى الشعر هي عماد كلّ نمو عقلي، وإحساس كل ثقافة ذهنية[3]

إن الشعر لا يكتسب شعريته بالصورة فقط، إذ لا بدّ من أن تتعاضد عناصر شتى للوصول إلى الشعرية المرجوة، ومن هنا جاء أثر الموسيقى وزنًا، وايقاعًا، وقافيةً وبما إنَّ الإيقاع في القصيدة العربية ضرورة لا بد منها، فهو يمثل ((حيوية نغمية موسيقية ترتبط ارتباطًا حميمًا بموسيقى اللغة وتركيبها الإيقاعي من جهة وبطبيعة التشكلات الموسيقية الّتي تمتها الفاعلية الفنية العربية من جهة اخرى))[4] فالموسيقى هي القالب الّذي يحفظ للتجربة والتصوير الشعريّ نوعًا من حفظ الكيان الحقيقي، الّذي يستحق به اسم الشعر فكرًا، وحسًا، وتصويرًا فالشاعر العظيم هو الّذي يوفق في فنه إلى المعادلة بين نسب العاطفة، والفكر، والخيال، والوزن، بحيث يجعل بينها التجاوب الموسيقي الّذي ينسجم في القصيدة انسجام النور والعطر والهواء في الزهرة الجميلة اليانعة.

([1]) ينظر: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر العصفور: 75.

([2]) ينظر: قضية الشعر الجديد، د. محمد النويهي: 28.

([3]) ينظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس: 11.

([4]) في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د. كمال أبو ديب: 230.

وعلى هذا الأساس، فقد ميز النقاد بين شكلين من الموسيقى الأولى موسيقى خارجية، ويحكمها الوزن والقافية، والأخرى موسيقى داخلية تمثلها قيم صوتية باطنية عدة، ومن نماذج الاثنين معًا تنشأ البنية الموسيقية المتكاملة في الوحدة الشعرية، لتشكل عنصرا مهما وظاهرة بارزة فيها.

اولًا – الموسيقى الخارجية:

وتظهر الموسيقى الخارجية للأبيات الشعرية من خلال الوزن والقافية.

1– الوزن:

ركن أساس ومهم في الشعر العربي وليس قالبًا مفروضًا على القصيدة، بل إنّها تستمد الكثير من قوتها ودلالتها من البحر الشعري الّذي يضفي عليها إيقاعًا خاصًا يُسهم إلى حدٍّ كبير في ترجمة عواطف الشاعر، ونقل تجاربه ولا يقوم الشعر العربي إلا على الوزن ((فالشاعر لا ينطق بكلامه في لغة عادية وإنما ينطقه موزونًا))[1]، فالوزن ((أعظم أركان حدِّ الشعر، وأولاها به خصوصية))[2].

وقد اختار صاحب "تراجم الأدباء" أشعارًا مختلفة الأوزان لمن ذكرهم، ويمكن ملاحظة هذه الأوزان والتفاوت في استعمالها عبر الجدول الآتي:

الأوزان	عدد القصائد	المقطوعات	النتف	عدد الأبيات
الكامل	5	18	87	380

(1) في النّقد الأدبي، د. شوقي ضيف: 99.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 1\134.

الطويل	1	7	73	240
البسيط	_	8	76	200
الوافر	1	12	49	196
الخفيف	1	4	39	103
السريع	1	_	20	68
المتقارب	1	_	18	52
الرمل	_	1	13	33
الرجز	1	_	8	28
المنسرح	_	_	6	15
المجتث	_	2	6	12
المتدارك	_	1	1	8
المديد	_	_	1	2

نلحظ من الجدول السابق أن البحر الكامل، احتل المرتبة الأولى في اختيارات صاحب "تراجم الأدباء" فهو ((أكثر البحور جلجلة وحركات))[1]، وهو بحر متساوي التفعيلات، يحمل في كل شطر من البيت ثلاث تفعيلات (متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن) وهو بحر صالح لكل

([1]) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: 1\302.

مضامين الشعر، إذ يتلاءم مع الجد، والتباهي، ومع اللين، والرقة، حتى ((كأنما خلق للتغني المحض))[1]، وتفعيلاته لها دندنة جهيرة واضحة ((تهجم على السامع مع المعنى والعواطف، والصور، حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال))[2]، وممن نظم فيه قول ابن الفارض (ت632هـ): (الكامل)

لـم أَخـلُ مِـن حَسَـدٍ عليـكَ فـلا تُضـعْ سَـــهَري بتَشْـــنِيع الخَيـــالِ المُرجِـــفِ
واســأَلْ نجــومَ اللّيــلِ هــل زارَ الكَــرَى جَفنــي وكيـفَ يـزورُ مَـن لـم يَعْـرِفِ[3]

فالوزن هنا عبارة عن نسق ذي نظام منغم خاص استعمله الشاعر والتزم به في كل أجزاء نصه، فهو عنصر مهم يعمل على تقطيع هذا النص إلى وحدات نغمية منسجمة متآلفة يخلق بينها شكلًا من أشكال العلاقة العضوية الّتي ستشكل بدورها بنيته الصوتية المميزة له عن سائر الأعمال الشعرية.

ومن ثمّ تلاه البحر الطويل في المرتبة الثانية مما اختاره صاحب "تراجم الأدباء" لما اتسم به من تمام الأجزاء، فلا يكون مجزوءًا ولا مشطورًا ولا منهوكًا[4]؛ ولأنّ ((أكثر من ثلث الشعر العربي قديمه ووسطه وحديثه قد نظم بهذا البحر))[5]، وهو أصلح البحور معالجة للموضوعات

([1]) م. ن: 303.

([2]) م. ن: 302.

([3]) تراجم الأدباء: 298، وديوان ابن الفارض: 151.

([4]) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: 36.

([5]) م. ن: 35.

الّتي أكثر منها العرب، كالمدح والرثاء والعتاب والفخر والاعتذار[1] ومن ذلك قول جَحْظَة البرمكي (ت336هـ): (الطويل)

أنـا ابـنُ أُنـاسٍ مَـوَّلَ النـاسَ جـودُهُم فَأَضـحوا حَـديثًا بِـالنَوالِ المُشَـهَّرِ
فَلَـم يَخـلُ مـن إِحسـانِهِم لَفـظُ مُخْبِـرٍ وَلَـم يَخـلُ مِـن تَقـريظِهِم بَطـنُ دَفتَـرِ[2]

إنَّ تفعيلات البحر المختلفة أتاحت نوعًا من الفخامة والجلال للألفاظ، وزاد من نغماتها الموسيقية الهادئة، والّتي ساعدت كثيرًا في تزيين صورة الأسرة الّتي ينتمي إليها الشاعر.

ويأتي البحر البسيط تاليًا الكامل والطويل في المرتبة، وهو من البحور الّتي كثر استعمالها في الشعر العربي، فغالبًا ما يقرن مع الطويل في الكثرة والانتشار أو يأتي بعده بقليل، بوصفه بحرًا جادًا مملوءًا بالجلال، إذ يعطي الشاعر أكثر من فرصة لخلق تجربته أو إعادة خلقها، لرحابته من جهة، ولأن تفعيلاته متغايرة لا متجانسة من جهة أخرى[3] وممن نظم فيه قول عروة بن أذينة (ت130هـ): (البسيط)

إذا وجَـدْتُ أُوارَ الحُـبِّ فـي كَبِـدِي عَمَـدْتُ نَحْـو سِـقاءِ القَـوْمِ أَبْتَـرِدُ
هَبْنِـي بَـرَدْتُ بِبَـرْدِ المـاءِ ظـاهِرَهُ فَمَـنْ لنـارٍ علـى الأحْشـاءِ تَتَّقِـدُ[4]

(1) ينظر: شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي: 104.

(2) تراجم الأدباء: 81، وديوان جَحْظَة البرمكي: 98.

(3) ينظر: شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي: 138.

(4) تراجم الأدباء: 196، وديوان عروة بن أذينة: 29.

فقد وظف الشاعر إمكانية بحر البسيط لخدمة غرض الغزل، في شدة الوجد وقوة الحنين محققًا بذلك الانسجام بين مفردات المادة الأولية للشعر، ومن ثم حولها بوساطة الإيقاع إلى عمل منسجم راقٍ يليق به اسم الفن والشعر.

وكان البحر الوافر رابع الأوزان الّتي انتقاها البغداديّ، وهو من البحور المعروفة في الشعر العربي يمتاز بكونه ((ألين البحور وزنًا، وأكثرها مرونة، وبتدفقه وتلاقي أجزائه وسرعة نغماته فهو وزن خطابي يشتد إن شددته ويرق إذا رققته))[1]، وسُمي وافرًا لتوافر حركاته، ولوفور أجزائه[2]، وهو على ستة اجزاء، وتفعيلاته (مفاعلتن) ست مرات، ومن ذلك قول الإمام الشافعي (ت204هـ): (الوافر)

أَمَـــتُّ مَطـــامِعي فَأَرَحـــتُ نَفســـي ... فَـــإِنَّ[3] الـــنَفسَ مـــا طَمِعَـــت تَهُـــونُ
وَأَحيَيْـــتُ القُنـــوعَ[4] وَكـــانَ مَيْتًـــا ... فَفَـــي إِحيائِـــهِ عِـــرضٌ مَصـــونُ
إِذا طَمَـــعٌ يَحِـــلُّ بِقَلـــبِ عَبـــدٍ ... عَلَتـــهُ مَهانَـــةٌ وَعَـــلاهُ هـــونُ[5]

نلحظ أن الشاعر وظف البحر الوافر الّذي استوعب مشاعر الشاعر وتجربته الشعورية.

ويأتي بحر الخفيف بعد الوافر رتبةً، وهومن البحور ذات الفخامة ولكنه دون الطويل، والبسيط في فخامته، وذلك لوضوح نغمه وتفعيلاته[6] وموسيقاه جيّاشة متلاحقة، ولا تعلو فيها

([1]) موسيقى الشعر العربي، محمود فاخوري: 31.

([2]) م. ن: 34.

([3]) رواية الديوان: لأنَّ.

([4]) رواية الديوان: الرَّجاءَ.

([5]) تراجم الأدباء: 201، وديوان الشافعي:112.

([6]) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: 1\238.

النبرة الخطابية أو يرتفع رنينها[1]. كما أن فيه جزالة ورشاقة، وهومن البحور الّتي تناسب الغناء، نظرًا لعلو إيقاعه تارة، وانخفاضه تارة أخرى، ومما جاء فيه قول الصّوري (ت419هـ)[2]: (الخفيف)

عجبـــاً لـــي وقَـــد مـــــررتُ بقبـــ رِكَ كيـفَ اهتَـديتُ سُـبْلَ الطَّريـقِ[3]

أتُـرانـــي نَسِيـــتُ عهـــدَكَ يـــــومًا صَـدَقُوا مـا لِمِّيـتٍ مـن صَـدِيقِ[4]

ونلحظ مما سبق أن اوزان (الكامل، الطويل، البسيط، الوافر، الخفيف)، شكلت حضورًا واسعًا في اختيارات البغدادي الشعرية في "تراجم الأدباء، ويأتي بعدها من حيث الاستعمال والشيوع كل من بحر (السريع، فالمتقارب، فالرمل)، وبنسب متفاوتة في الاختيارات، إذ قصدوها لما يتوافق مع مقاصدهم الشعرية، ومفاهيهم الأدبية. ولم يستعملوا بحورًا كـ (الهزج، المضارع، المقتضب) فهذه البحور قصيرة لا يصلح فيها ((النظم الا لمجرد الدندنة والترويح عن النفس بجرس الألفاظ))[5]

أما بحر المتدارك فقد كان نصيبه ثمانية أبيات في الكتاب؛ وتلك نسبةً قليلة جدًا فقد ابتعد عنه البغداديّ في اختياراته لما فيه من ((سذاجة في الأداء هي أقرب الى النثر منه الى

([1]) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: 126.

([2]) هو أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري الشاعر المشهور؛ أحد المحسنين الفضلاء، المجيدين الأدباء، شعره بديع الألفاظ حسن المعاني، رائق الكلام مليح النظام، من محاسن الشام، له ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان. توفي سنة (419هـ)، ينظر: تراجم الأدباء:345.

([3]) رواية البيت في ديوانه: عجبًا لي وقَد عَبرتُ بآثا رِكَ كيفَ اهتَديتُ سُبْلَ الطَّريقِ.

([4]) تراجم الأدباء: 346، وديوان الصّوري: 1\310.

([5]) المرشد إلى فهم أشعار العرب: 1/ 87.

الشعر)). وأما البحر المديد فقد جاء في الكتاب بيتان فقط، ويعود سبب ذلك أن فيه ثقلًا على الأسماع[1].

2- القافية:

أمَّا العنصر الآخر من عناصر الموسيقى الخارجيَّة، فهو القافية وهي ((مجموعة أصوات في آخر الشطر أو البيت، وهي كالفاصلة الموسيقيَّة يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة))[2]، وقد تكون القافية كلمة أو بعض كلمتين معًا، في رأي الخليل (ت170هـ) ((من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن))[3]. وللقافية أهمِّيَّة لا تقل عن الوزن وتأتي دائمًا مرتبطة به، فهي ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية))[4].

وإنَّ لتكرارها بصورة منتظمة وقعًا حسنًا في السمع، ولمَّا كانت موسيقى اللفظ عنصرًا رئيسًا في الشعر كان للقافية شأن لا يُستهان به في إكمال هذه الموسيقى[5]. ومما يعنينا من القافية حرف الروي فهو من أساسيات القافية وأهم حروفها، وهو ((الحرف الأخير من حروف القافية الا ما كان تنوينًا أو بدلًا من التنوين أوما كان حرفًا إشباعيًا))[6]، ولا يكون الشعر مقفى

([1]) ينظر: موسيقى الشعر: 96.

([2]) علم القافية: 7.

([3]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 1\151.

([4]) م. ن: 1\151.

([5]) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: 233.

([6]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: 1\154.

إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرر في أواخر الأبيات، وإذا تكرر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات عدت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية المصغرة[1].

ومما لا شك فيه أن حرف الروي أهم صوت موسيقي في القافية؛ وذلك لأنّه يمثل النقرة الموسيقية الّتي لها خصوصيتها، لذا سنعمل مخططا إحصائيا لأصوات الروي الّتي استعملها الشعراء في اختيارات "تراجم الأدباء"، وكما يأتي:

حروف الروي	عدد القصائد	المقطوعات والنتف	عدد الأبيات
النون	2	45	144
الباء	_	48	135
اللام	1	43	125
الدال	3	34	120
الميم	1	40	118
الراء	_	44	100
العين	_	19	56
الحاء	_	17	43
الفاء	_	13	35
الكاف	_	14	30
التاء	_	11	26
القاف	3	16	24
الجيم	_	9	21
الطاء	1	2	19

([1]) ينظر: موسيقى الشعر: 247.

الهمزة	_	6	12
السين	_	4	11
الصاد	_	3	8
الياء	_	3	6
الألف	_	3	5
الهاء	_	2	3
الثاء	_	1	3
الذال	_	1	2
الغين	_	1	2
الخاء	_	1	2
الضاد	_	1	2

نلحظ من الجدول السابق أن حرف (النون) أخذ الصدارة والمرتبة الأولى ضمن اختيارات البغداديّ في حروف روي الشعراء، وتبعه على التوالي (الباء، اللام، فالدال، فالميم، فالراء)، حيث شكلت هذه الحروف النسبة الكبرى في روي قوافيهم هي نفسها الّتي كثر دورانها في قوافي الشعراء في شعرنا العربي[1]، ولعل سبب شيوع هذه الحروف من دون غيرها يعود إلى كثرة دورانها في أواخر كلمات اللغة، وسهولة مخارجها[2].

([1]) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: 211.

([2]) ينظر: موسيقى الشعر: 248.

ونجد البغداديّ يبتعد عن الاستشهاد بالنصوص الّتي قوافيها حروف (الهاء، الثاء، الذال، الغين، الخاء، الضاد)؛ لأنها قليلة الاستعمال في الشعر العربي، وكان الشعراء يبتعدون عنها، وقد يكون سبب ذلك هو أنَّ الشاعر يضطر إذا ما نظم فيها إلى استعمال الكلام الوحشي المهمل، ويضيق في وجهه باب التصرف بالمعاني على ما يتصور، فيعطل عليه النظم وعلى المتلقي الفهم[1].

ومن أمثلة حروف الروي الّتي كثر استعمالها عند شعراء "تراجم الأدباء" ما جاء في قول مروان بن أبي حفصة (ت182هـ): (الطويل)

وأكـــرمُ قبـــرٍ بعـــدَ قبـــرِ مّحمـــدٍ نَـــبيّ الهُـــدى قَـــبرٌ بمـــا سَـــبَذانِ
عجبـــتُ لكـــف هالـــتِ التُـــربَ فوقَـــهُ ضـحى[2] كيف لـم ترجـعْ بغيـرِ بنـانِ[3]

إذ وظف الشاعر صوت النون في هذا النص، وهو من الأصوات المجهورة الّتي تتصف بالغنة الّتي تُرافق النطق بها[4].

ويأتي بعد النون حرف (الباء) وهو من حروف القوافي الذلل[5] ومثال ذلك نجده في نصِّ السراج الورّاق (695هـ): (المتقارب)

وكنـــــتُ حبيبـــــًا إلـــــى الغانيـــاتِ فألبســـني الشـــيبُ بعـــضَ الرقيـــبِ
وكنـــتُ ســـراجـــًا بليـــلِ الشبـــابِ فأطفـــأ نـــوري نهـــارُ المشـــيبِ[6]

([1]) ينظر: البناء الفني عند مسلم بن الوليد، عباس رشيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد:213.

([2]) رواية ديوانه: ضحًا.

([3]) تراجم الأدباء: 64، وشعر مروان بن أبي حفصة: 285.

([4]) ينظر: الأصوات اللغويّة: 147.

([5]) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: 1\46.

([6]) تراجم الأدباء: 254، وفوات الوفيات:3\140، وسراجُ الدّين الوراق حياته وشعره جمع ودراسة:144.

فقد جاء صوت الروي (الباء) في هذا النصّ الشعري مرنًا ومتماسكًا بشكل يجعله أكثر قدرة على التعبير عن معانٍ مختلفة تدور حول حركة وفعل الموسيقى داخل النص، وداخل ذات الشاعر أولًا والسامع ثانيًا.

أما (اللام) فقد جاء بعد الباء، وهومن الأصوات المتوسطة[1]، ومثال ذلك نجده في قول الطُغْرَائي (ت515هـ): (البسيط)

أصـالةُ الـرأي صـــانتْنِي عـن الخَطَـلِ وحِليـةُ المجـدِ[2] زانتنـي لـدَى العَطَـلِ[3]

إنّ حرف الروي (اللام) في البيت الشعري من الأصوات الّتي لها فاعليّة في تكوين اللبنة الأولى للإيقاع، لما يُحدثه من حفيف عند النطق به[4]، فالشاعر أوردها للتعبير عن مدى أثر الرأي السديد، فيقول: إن رأيه السّديد الذي هو نتاج حكمته قد حفظه من كل دنيّةٍ، وجعل له الفضلُ والوقارُ بين الناس مُصانًا من ذَمامة ورداءةِ.

أما حرف (الدال)، فقد جاء بالمرتبة الرابعة، وهو صوت لثوي أسناني صامت لا صائت[5]، أي أنّ الهواء المندفع من داخل الرئة إلى الحلق يعرض له عارض يسد جزئيًا سريانه

([1]) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد: 114.

([2]) رواية ديوانه: الفضلِ.

([3]) تراجم الأدباء: 120، وديوان الطغرائي: 301.

([4]) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: 80.

([5]) ينظر: الأصوات اللغوية: 86.

عند النطق به، ومثال ذلك نجده في قول الحصري (ت488هـ)[1]: (المتدارك)

يـــا ليـــلُ الصـــبُّ متـــى غـــده أقيـــــامُ الســاعـــــة مـوعـــــدُهُ
رقـــــــدَ السُّمّـــــــار فـأرقـــــــهُ أســـــــفٌ للبيـــــنِ يـــــرددُهُ[2]

إن صفات صوت الدال من جهر وانفتاح زادت من سبك النص وتماسكه وقوة تأثيره[3]. إنّ طبيعة صوت الدال تحدث زخمًا إيقاعيًا يحشد دلالات النّصّ ويزيد من تماسكها وانتظامها، وشدّة وقعها ما يولّد جوًّا مشحونًا بالانفعال شعوري والشعري، ما يتناسب مع مرمى النّصّ ومغزاه في الحديث عن الانتظار والشوق.

فالملاحظ أنَّ هذه الأصوات تميل إلى الوضوح الصوتي، وتمنح القافية نغمة موسيقية صافية، ولعل هذه الأصوات كانت معبرة عن حالة وجدانية أو انفعال معين لدى الشعراء، إذ يظن أنّ لحالة الشاعر الخاصة، ومقدار التناسب بين حرف الروي وهذه الحالة سبب آخر يدفع الشعراء إلى الاستكثار من هذه الحروف في نظم قصائدهم دون غيرها.

أما القافية فتقسم من حيث حركة رويها على (مطلقة) وهي ما كان حرف الروي فيها متحركًا، و(مقيدة) وهي ما كان حرف الروي فيها ساكنًا[4]، وقد جاءت أكثر الاختيارات الشِّعرية للبغداديّ في كتاب "تراجم الأدباء" بقافية مطلقة، إذ إنّها لا تحتاج إلى صرامة وشدة السكون في

([1]) الحصري، أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرئ الضرير الحصري القيرواني الشاعر المشهور، كان عالمًا بالقراءات وطرقها، أقرأ الناس القرآن الكريم بسبتة وغيرها، ينظر: تراجم الأدباء:60.

([2]) تراجم الأدباء: 161، وأبو الحسن القيرواني الحصري، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى: 143.

([3]) ينظر: الأصوات اللغوية: 86.

([4]) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 1\153.

آخر القافية، فضلًا عن أنَّ الروي المتحرك شائع وبكثرة في الشعر العربي القديم، يلتزم الشعراء حركته، ويراعونها مراعاة تامة ولا يحيدون عنها[1]، وكون القافية المقيدة هي ((أقل القوافي موسيقية))[2] وبالتالي لا تساعده على تنويع التنغيم الموسيقي والإيقاعي لاختياراته الشعرية؛ لأن ((الأصوات محلها من الأسماء محل النواظر من الأبصار))[3].

والّذي يوضح كثرة القافية المطلقة على القافية المقيدة في اختيارات "تراجم الأدباء" الجدول الآتي:

نوع القافية	عدد القصائد والمقطوعات والنتف	عدد الأبيات
المطلقة _ المكسورة	360	526
المطلقة _ المضمومة	250	498
المطلقة _ المفتوحة	97	157
المقيدة _ المسكنة	27	62

يبين لنا هذا الجدول غلبة واضحة للقافية المطلقة ضمن اختيارات البغداديّ، ويظهر لنا أن الاختيارات ذات الروي المكسور كانت أكثر بكثير من الاختيارات المضمومة والمفتوحة، ولعل سبب ذلك يرجع لكون الكسرة تُشعر بالرقة واللين[4] ومن أمثلة ذلك قول ابن الطراوة (ت528هـ) في هجاء فقهاء مالقة: (البسيط)

إذا رَأَوْا جمـــلا يَـــأْتِي علـــى بعـــد مـــدوا إِلَيْـــهِ جَمِيعًـــا كـــف مقتـــنصِ

([1]) ينظر: موسيقى الشعر: 260.

([2]) علم القافية: 49.

([3]) الوساطة بين المتنبي وخصومه: 306.

([4]) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها:1\71.

أَو جئــتهم فَارغًــا لــزوكَ فِــي قَــرَن وَإِنْ رَأَوْا رشــوة أفتــوك بــالرخصِ[1]

إنَّ النَّصَّ يُفصِحُ عن حالة من الاستياءِ والاستهجانِ المحض فاستعان الشاعر بالقافية المكسورة مُعبِّرًا عن عاطفة السّخط، والغضب حيال مجموعة من الفقهاء لينفّس بها عمّا يختلج في صدره من ضغائن، وكاشفًا عن عيوبهم بغية إهانتهم والازدراء بهم من خلال تناوله الطّعن في نزاهتهم.

أما القافية ذات الروي المضموم فقد جاءت بعد المكسورة، وكذلك شكلت حضورًا كبيرًا لا يقلُّ أهمية عن سابقتها، فالضمة حركة تُشعر بالأبهة والفخامة المفعمة بالقوة،[2]، ومثال حركة الروي المضمومة نجده في نَصِّ صلاح الدّين الأيوبي (ت656هـ): (الطويل)

عيــــونٌ عــــن السِّحــرِ المبينِ تُبينُ لهــا عنــدَ تحريــكِ القلــوبِ ســكونُ
تصــولُ ببــيضٍ وهــي ســودٌ يزيــدُها ذبــــولُ فتــــورٍ والجفــــونُ جفــــونُ
إذا مــا رأتْ قلبًــا خَلِيًــا مِــنَ الهــوى تقــولُ لــــه كُــــنْ مُغْرمًــا فيكــونُ[3]

وهنا نرى الأثر الكبير لحركة الضمة في حركة الروي فجرس (الضمة) الموسيقي يوحي بالفخامة والأبهة[4]، وإضفاء الجماليات الصوتية على حرف الروي لما اتصفت به من خفة في النطق وجهرٍ في الصوت.

أما الفتحة فقد جاءت بالمرتبة الثالثة من حيث نسبة الشيوع، ومعروف عنها أنَّها حركة خفيفة، فهي أضعف الحركات السابقة، لذلك نجد أنَّ معظم شعراء "تراجم الأدباء" قد عمدوا إلى

([1]) تراجم الأدباء: 153، وبغية الوعاة:1\602.

([2]) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: 1\69.

([3]) تراجم الأدباء: 72، والنجوم الزاهرة:7\61.

([4]) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: 1\69.

جعل روي القافية المطلقة المفتوحة موصولًا بألف الإطلاق لتقوية وحدة النص. ومن أمثلة ذلك قول الخليل الفراهيدي (ت 170هـ): (البسيط)

وَخَصــلَةٍ يُكثِــرُ الشَــيطانُ إِن ذُكِــرَت مِنهــا التَعَجُّــبَ جــاءَت مِــن سُلَيمــانا
لا تَعـــجَبَنَّ لِخَيـــرٍ زَلَّ عَـــن يَـــدِهِ فَالكَوكَبُ النَحسُ يَسقي الأَرضَ أَحيانا[1]

ومما تقدم نجد أن الشعراء في "تراجم الأدباء" قد اهتموا بعنصر القافية في أشعارهم فالقافية ليست مجرد أداة أو وسيلة تابعة لشيء آخر، بل هي عامل مستقل، ولا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى كما أنها تعد من أهم أركان القصيدة.

ثانيا- الموسيقى الداخلية:

تتمثل الموسيقى الداخلية في ظواهر عدة، تنبعث من داخلها الموسيقى الّتي بدورها تشارك الوزن والقافية، في جذب انتباه المتلقي، إلى جانب أنها تمتع أذن السامع، ومن هذه الظواهر:

1- التكرار:

يعد التكرار شكلًا من أشكال التنظيم في بناء القصيدة وعلامة بارزة في التشكيل الصوتي لها فهو وسيلة لغوية يلجأ إليها الشاعر شعوريًا ولا شعوريًا لرسم ما يعتمل في نفسهِ من أحاسيس مختلفة يريد إبرازها لإلحاحها على فكرة ووجدانه، ومن ثم قد تستحيل أيضًا إلى وسيلة أخرى تدعم مبتغاها الأول، فتتحول إلى إيقاعات صوتية منغمة يترنم بها الشاعر، ويوقع عليها نغميًا مشاعره، بما يجعل قارئه متابعًا بوجدانه وفكره لأحاسيسه في شكل دفقات شعورية تتحول إلى أنغام إيقاعية، وبهذا يحقق الإيقاع بعدًا موسيقيًا معنويًا فهو يقوم بترسيخ المعنى الدلالي في

(1) تراجم الأدباء: 97، وشعر الخليل بن أحمد الفراهيدي: 361.

ذهن المتلقي على جهة معينة من العبارة يُعنى بها أكثر من عنايته بسواها[1]. ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول ابن مرج الكحل (ت634هـ)[2]: (الرمل)

مَثَـــلُ الـــرِّزقِ الَّـــذي تَطلُبـــهُ مَثَـــلُ الظِّـــلِّ الَّـــذي يَمْشِـــي مَعَـــكْ
أَنـــت لَا تُـــدْرِكُـــهُ مُتَّبِعًـــا فَـــإِذا وَلَّيْـــتَ عَنْـــهُ تَبِعَـــكْ[3]

إنَّ التكرار في (مَثَلُ، الّذي، تبعك) عمل على تقوية الجرس الموسيقي، فأراد الشاعر ترسيخها في ذهن المتلقي من الواقع الموسيقي المتواتر الّذي ألح على نقطة التكرار فيه لدعم مبدئه في السعي إلى طلب الرزق، وهذا التكرار منح النّص نغمة موسيقية أفضت إلى تأكيد المعنى الّذي أراده الشاعر. ومن أمثلته أيضًا ما ورد في قول حَمّاد عَجْرَد (ت161هـ): (الطويل)

فَأُقْسِـمُ لَـو أَصْـبَحْتَ فِـي لَوْعَـةِ الْهَـوَى لَأَقْصَرْتَ عَنْ لَوْمِي وَأَطْنَبْتَ فِي عُذْرِي
وَلَكِـــنْ بَـــلَائِي مِنْـــكَ أَنَّـــكَ نَاصِـــحٌ وَأَنَّـــكَ لَا تَـــدْرِي بِـــأَنَّكَ لَا تَـــدْرِي[4]

كرر الشاعر عبارة (أنّكَ لا تدري) ليعبر عن مشاعره بطريقة واعية لبيان شدة حزنه وألمه من لوعة الهوى، فيقول للّذي يلومه: أنّه لا يعرف لوعة الهوى لكونه ناصح وهو بذلك لا يعرف هذا الحزن، فحققت الألفاظ المكررة المتلاحمة بدلالة النص إيقاعا معبرًا عن ألم الشاعر.

([1]) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: 240.

([2]) هو محمد بن إدريس بن علي أبو عبد الله الأندلسي الشاعر المعروف بمرج الكحل، وهو شاعر مفلق بديع التوليد، توفي سنة (634هـ)، ينظر: تحفة القادم: 249.

([3]) تراجم الأدباء: 198، وديوان مرج الكحل الأندلسي: 130.

([4]) تراجم الأدباء: 104، وديوان حمّاد عجرد: 125.

2- الطباق:

يعد الطباق من المحسنات البديعية، إلا أنه مع ذلك ((يتضمن أمورًا تتصل اتصالًا وثيقًا ببحث موسيقى الألفاظ))[1]، الّتي تكمن في إشباع حاسة تداعي التضاد وهي تقابل حاسة تداعي المشابهة، لأن للطباق القدرة على خلق الحان متضادة على المستوى الفكري والموسيقي[2] وهو((التضاد القائم بين معنيين، إما تضادًا حقيقيًا وإما مجازيًا، يحس به الفنان بغض النظر عن أنه طباق بين مفرد ومفرد، أوبين هيئة وهيئة))[3]، ويعد أداة من أدوات التعبير الإيقاعي، ومن أمثلة الطباق الّتي جاءت في اختيارات البغداديّ قول ابن الحجاج (ت391هـ)[4]: (الوافر)

إذا ذُكـــــر القضـــاةُ وهـــم شـــيوخُ تخيـــرتُ الشـــبابَ علـــى الشـــيوخِ
ومـــن لـــم يـــرضَ لـــم أصـــفعهُ إلا بحضـــرةِ ســـيدي القاضـــي التنـــوخي[5]

طابق الشاعر في هذا النص بين لفظتي (الشباب)، و(الشيوخ) بما يحملان من دلالة مغايرة فحقق هذا التضاد قيمة موسيقية ذات إيقاع داخلي يثير إحساس المتلقي وتشده إليه بقوة.

ومن أمثلة الطباق قول الشاعر[6]: (السريع)

أســـفرَ ضـــوءُ الصُّـــبحِ عـــن وجهِـــهِ فقـــامَ خـــالُ الخـــدّ فيـــه بـــلالِ

([1]) موسيقى الشعر: 45.

([2]) ينظر: عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، كمال أحمد غنيم: 354.

([3]) البديع تأصيل وتجديد: 118.

([4]) الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج، النيليّ البغدادي، أبو عبد الله. شاعر فحل، من كتاب العصر البويهيّ. غلب عليه الهزل. في شعره عذوبة وسلامة من التكلف، توفي سنة(391هـ)، ينظر الأعلام:2\231 .

([5]) تراجم الأدباء: 154، وديوان ابن حجاج: 1\171.

([6]) لم يذكر اسم الشاعر، ينظر: تراجم الأدباء: 185.

كأنّمـــا الخـــالُ علـــى خـتـــدّه ســاعةُ هَجْـرٍ فـي زمـانِ الوِصـالِ[1]

يوظف الشاعر التضاد توظيفًا فنيًا عن طريق التقابل بين (هجرٍ)، و(الوصال)، وبهذا حقق التضاد موسيقى جميلة نفس به الشاعر عن اختلاجاته الشعورية.

3 – التّدوير:

هو نمط إيقاعي له أثر كبير في الموسيقى الدّاخليّة للنصّ، فهو ينماز بأنّه جسر موسيقي يشد طرفي البيت، ويقوم على تجاوز الفصل بين الصّدر والعجز من خلال جعل بعض الكلمة في الشّطر الأوّل وبعضها في الشّطر الثاني[2]، وتكمن أهمِّيَّته في أنّه يُضفي نغمًا موسيقيًّا متواصلًا على النّصّ، ومثال ذلك قول جَحْظَة البرمكي (ت336هـ): (الكامل)

يـــــا أيهـــــا الـركـــبُ الذيـــ ـــنَ فـراقُهُـــم إحـــدى البلـــيّة

يـوصيكُـــمُ الصّـــبُّ المـقـيـــ ـــمُ بقلـــبِهِ خيـــرُ الوصـــيّة[3]

استعمل الشاعر التّدوير ليحدث استمرار التدفّق الموسيقي داخل النّص، فلم يعمل كسر الرّتابة الوزنيّة على انقطاع الموسيقى، بل أضفى عليه تناسقًا موسيقيًّا مُتراصًّا يُفضي إلى طول النّفس مع خلق شعور موجٍ باستمرار ألمه وحزنه على فراق أحبته.

وأيضًا ما ورد في قول عُبَيْد الله بن طاهر (ت355هـ): (الكامل)

أَقـــضِ الحـوائـــجَ مـــتا استطعـ ـــتَ وكُـــنْ لَـهتـــمّ أخـيكَ فـارِجِ

فَلِخَيـــرِ أيـــــام الفـتـــى يـــومٌ قضـــى فيـــه الحـوائـــجِ[4]

([1]) تراجم الأدباء: 185، وفيات الأعيان: 5\25.

([2]) ينظر: العروض الواضح: 43.

([3]) تراجم الأدباء: 82، وديوان جحظة البرمكي: 182.

([4]) تراجم الأدباء: 246، وفيات الأعيان: 3\122.

إن النّبرة الموسيقيّة بين شطري البيت الأول في هذا النّص هي التّدوير، وهو نسق مقصود أضفاه الشّاعر ليُظهر الإيقاع الداخلي الّذي يُحيلُ على استمرار حالة مساعدة الناس.

الخاتمة

وفي الختام: أحمدُ الله الّذي وَفّقَنِي وهَدَانِي وأعانَنِي على إنجازِ هذا العملِ المتواضعِ، وأختم هذا العمل بأهمِ النتائج الّتي توصلت إليها، وإيجازُها على النحو الآتي:

– يفتقد الكتاب إلى المقدمة، ومن ثمّ لم نعرف الغاية الّتي دفعته إلى تأليف الكتاب فضلًا عن سبب تسمية الكتاب بهذا الاسم، ولا سبب اختيار هذه الشخصيات دون غيرها.

– لم يكن للحقبة الّتي عاشها البغداديّ أثر في اختياراته للتراجم.

– بنى البغداديّ كتابه على اختيار شخصيات معينة معتمدًا على ذوقه فلم يضع شروط في اختيار التراجم، وكانت اختياراته من مختلف أقطار الدولة الإسلامية وينتمون لعصور أدبية مختلفة، وقد تصدر العصر العباسي قائمة اختياراته؛ لأنه العصر الّذي تميز بازدهار أدبي، وعلمي فريد لا مثيل له في العصور الأدبية الأخرى، واحتلت بغداد المرتبة الأولى في أقطار اختياراته؛ لأنها حاضرة الدولة العباسية وهي موطن ولادة المؤلف ومرتع صباه.

– بدت عنايته الواضحة بذكرِ أسماء الأعلام وآبائهم وأجدادهم في معظم تراجمه، وذكر كناهم وألقابهم، وكان يحفظ الأسماء؛ ما قد يلحقها من تصحيف، وذلك بتقييدها وضبطها ليمنع وقوع الخطأ في القراءة، أوالوهم أو التغيير، ونادرًا ما نجد ترجمة خالية من كنية المترجم له، وكان يذكرها قبل الاسم في معظم التراجم. ولم تخلُ ترجمة من لقب معين إلا ما ندر، وقد كان يذكر لبعض الأعلام أكثر من لقب اعتمادًا على ما اشتهر به العلم وعُرف.

– إنَّ أسلوب المؤلف في الترجمة يتميز بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني، والمتعة في القراءة، والإفادة من المعلومات الواردة ضمن القضايا الّتي يتعرض لها بعيدًا عن أسالي السجع والتأنق اللفظي.

– اعتمد البغداديّ على المؤلفات الّتي سبقته في توثيق معلوماته فأخذ عنهم، وكان يشير إلى المؤلفات أو المؤلفين الّذين أخذ عنهم، بعد أن ينتهي من الترجمة أو خلال عرض المادة أحيانا كذلك المصادر الّتي اعتمد عليها متعددة ومختلفة منها كتب التراجم والسير ومنها ما كانت أدبية وأخرى تاريخية.

– إنَّ التفاوت في الأغراض الشِّعرية كان واضحًا ضمن عملية الاختيار، الّتي لم تقف عند البحث في موضوع واحد، بل أنّ الاختيارات تعددت مع تعدد الأغراض الشِّعرية، وقد تصدر الغزل قائمة تلك الموضوعات، وذلك لأهميته، وكثرة وروده في نصوص الشعراء، تلاه المديح، فالحكمة، فالرثاء، فالهجاء، والوصف، ثم الإخوانيات، والشكوى، فالخمريات، ثم الفخر.

– توخى البغداديّ الجانب الديني في عملية الاختيار، فقد راعى في اختياراته تلك جانب العفة وعدم الفحش والكلام البذيء الذي يخدش الحياء.

– لم يتبع البغداديّ الترتيب الزمني للأدباء، واعتمد على ذوقه، إذ يأتي بالعباسي ثمّ المتأخر ثمّ الأموي، وهذه دلالة كونه ذواقًا في اختياراته.

– وعلى صعيد الأسس الفنية للاختيارات الشعرية الّتي اختارها البغداديّ، كشف البحث عن وضوح لغتها الشعرية، وسلامتها، مع سهولة الألفاظ ورقتها، وعدم اللجوء إلى الألفاظ الّتي تتسم بالغرابة والغموض والوعورة.

– تفنن البغداديّ في تلوين اختياراته بالأساليب التركيبية معتمدًا على أساليب تركيبية مختلفة كأسلوب الشرط، والاستفهام، والتوكيد، والنداء، والأمر والنهي، وهي أساليب جاءت منسجمة مع الموضوعات والمعاني الّتي وضعت لأجلها.

– استعمل شعراء تراجم الأدباء الاوزان بأسلوب لم يخرجوا فيه عن أسلافهم من الشعراء، أذ استعملوا البحر الكامل والطويل والبسيط بالمراتب المتقدمة قياسا إلى البحور الاخرى؛ كما أن شعراء تراجم الأدباء لم يخرجوا عن الشروط التي وضعها العروضيون في استعمال قوافيهم؛ كما قد استثمروا العناصر الموسيقية التي تُحقق نظاما موسيقيا داخليًا كالتكرار والطباق.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

- الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، حسني عبد الجليل يوسف، ط2، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، 2003.
- أدب العرب في عصر الجاهلية، د. حسين الحاج حسن، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1997.
- الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة الموصل، العراق، 1989.
- الأدب المصري في ظل الحكم العثماني، محمّد سيد كيلاني، دار الفرجاني، مصر، ليبيان، لندن، 1913
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 1989.
- الأصوات اللغويّة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ط4، مكتبة النهضة، مصر، 1964.
- الأعلام، خير الدّين الزركلي، ط16، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2005.
- الأفكار والأسلوب، أ ف تشيتشرين، ترجمة، د. حياة شرارة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدّين بن معصوم المدني (ت1119هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط1، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1968.
- أوع ما قيل في الإخوانيات، إميل ناصيف، ط1، دار الجبل، بيروت، 1996.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: إسماعيل باشا بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغداديّ، عُني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه: محمّد شرف الدّين يالتقايا، طبع بعناية وكالة المعارف بإسطنبول، 1947، ثمّ صوّرته بالأوفست دار النشر الإسلامية.
- الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: جلال الدّين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت739هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2007.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت745هـ)، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2000.
- البداية والنهاية، ابن كثير عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، (د. ت).
- البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1986.
- البرهان في علوم القرآن، بدار الدّين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1984.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1965.
- البلاد العربية والدولة العثمانية، د. ساطع الحصري، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1960.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. حسن البصير، ط2، دار الكتب، الموصل، 1982.

- بناء القصيدة في النقد العربي القديم، د. يوسف حسين بكار، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994.
- بناء النص التراثي، د. فدوى مالطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، 1913.
- تاريخ الأدب العربي، د. عمر موسى باشا، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1989.
- تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1967.
- تاريخ الدولة العثمانية، د. سيد محمّد السيد محمود، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.
- تاريخ الشعر في العصر العباسي، د. يوسف خليف، دار الثقافة، القاهرة، 1988.
- تاريخ العراق الحديث، د. إيناس سعدي عبدالله، ط1، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، شارع المتنبي،2014.
- تاريخ العراق الحديث والمعاصر، د. محمد سهيل طقّوش، ط1، دار النفائس، بيروت، 2015.
- تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وورادیها)، تأليف: أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغداديّ (ت463هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

- تحفة القادم، المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ)، أعاد بناءه وعلّق عليه: الدكتور إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦ م
- تحقيق الفوائد الغياثية، تأليف: شمس الدّين الكرماني (ت786هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، 2003.
- تراجم الأدباء، تأليف عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت1093هـ)، دراسة وتحقيق: د. مزاحم علي عشيش البعجاج ود. مالك علي عشيش البعجاج، دار اليراع، عمان، 2005.
- التراجم والسير، محمّد عبد الغني حسين، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1955.
- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت816هـ)، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، (د. ت).
- ثمرات الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي)، تأليف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبوبكر بن علي (ت ٨٣٧هـ)، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، 2005.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي، د. ماهر مهدي هلال، ط1، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة الإعلام، 1980.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المؤلف: أبوالفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (ت390هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.

- حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام، عبد القادر بن عمر البغداديّ، تحقيق: نظيف محرّم خواجة، دار صادر، بيروت، لبنان، 1980.
- الحكمة في الشعر العربي، سراج الدّين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
- الحور العين، لأبي سعيد بن مشوان الحميري (ت573هـ)، حققه وضبطه: كمال مصطفى، دار آزال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجة، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدّين أبوبكر بن حجة الحموي (ت738هـ)، شرح عصام شعيتو، ط1، دار الهلال، بيروت، لبنان، 1987.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغداديّ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1984.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تأليف محمّد أمين بن فضل الله بن محب الدّين بن محمّد المحبي، تحقيق: د. ليلى الصبّاغ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، 1986.
- دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ط1، مطبعة البحوث العلمية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 2002.

- دلائل الأعجاز، المؤلف: أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، 1992.
- الدّليل الشّافي على المنهل الصّافي، تأليف: جمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت874هـ)، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2،1998.
- دول الإسلام، تأليف: الإمام شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت748هـ)، حقّقه وعلّق عليه: حسن إسماعيل مروة ومحمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999.
- ديوان ابن الحجاج، جمعه وقدّم له وعلّق عليه: سعيد الغانمي، ط1، منشورات الجمل، 2017.
- ديوان ابن الساعاتي، تحقيق: انيس المقدسي، الجامعة الأميركية، كلية العلوم والآداب، سلسلة العلوم الشرقية، بيروت، لبنان، 1938.
- ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2011.
- ديوان ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق: د. محمّد مجيد السعيد، ط2، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.
- ديوان ابن بسام البغداديّ، تحقيق: د. مزهر السوداني، ط1، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، 1999.
- ديوان ابن بقي الأندلسي، جمع ودراسة: انتصار خضر الدنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012.

- ديوان ابن حمديس، صححه وقدّم له: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1980.
- ديوان ابن خفاجة، دار صادر بيروت، لبنان،
- ديوان ابن دريد، دراسة وتحقيق: عمر بن سالم، دبي، ط1، مؤسسة سلطان العويس، 2012.
- ديوان ابن رشيق، جمعه ورتبه: د. عبد الرحمن ياغي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1989.
- ديوان ابن عنين، تحقيق: خليل مردم بك، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن لؤلؤ الذهبي، دراسة وتحقيق: د. محمّد إبراهيم لاشين، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004.
- ديوان ابن مطروح، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 2004.
- ديوان ابن هاني الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب، ط3، رقم 34، 1964.
- ديوان البهاء زهير، شرح وتحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم ومحمّد طاهر الجبلاوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- ديوان الشافعي، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.
- ديوان الشريف الرضي، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي إيران، ط1، 1968.

- ديوان الصوري، تحقيق: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981.
- ديوان الطغرائي، تحقيق: د. علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري، ط2، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، 1986.
- ديوان بشار بن برد، شرح: محمّد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1966.
- ديوان جحظة البرمكي، تحقيق: جان عبد الله توما، إشراف: د. سعدي ضنّاوي، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997.
- ديوان جعفر بن شمس الخلافة، تحقيق ودراسة: د. عبد الرزاق حويزي، ط1، مركز حمد الجاسر الثقافي، 2010.
- ديوان حماد عجرد، د. نازك سابا يارد، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2001.
- ديوان خالد الكاتب، دراسة وتحقيق: كارين صادر، وزارة الثقافة، مديرية إحياء ونشر التراث العربي، دمشق، سورية، 2006.
- ديوان ديك الجن، تحقيق ودراسة: مظهر الحجّي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- ديوان سلم الخاسر، تحقيق: شاكر العاشور، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2017.
- ديوان صردر، تحقيق ودراسة: د. محمّد سيد علي عبد العال، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2008.
- ديوان ظافر الحداد، تحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر للطباعة، القاهرة، 1969.
- ديوان عروة بن أذينة، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: أحمد أكرم الصباع، ط1، نشر دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987.
- ديوان مجير الدّين بن تميم، تحقيق: د. هلال ناجي ود. ناظم رشيد، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999.
- ديوان مرج الكحل الأندلسي، تحقيق: البشير التهالي ورشيد كناني، ط1، مكتبة القراءة للجميع، الدار البيضاء، 2009.
- ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1925.
- رحلة الشتا والصيف، المؤلف: محمد بن عبد الله بن محمد، من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي المعروف بـ كِبْرِيت (ت ١٠٧٠هـ)، حققها وقدمها وفهرسها: الأستاذ محمَّد سَعيد الطنطاوي، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1965.
- الروضتين في أخبار الدولتين، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥ هـ)، المحقق: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٧.
- سير اعلام النبلاء، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مُحب الدّين أبوسعيد عمر بن غرامة العمري، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1997.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1986.
- شرح أبيات مغني اللبيب، تأليف: عبدالقادر بن عمر البغداديّ، حققه: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدّقاق، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، 1988.

- شرح المفصل، المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.
- شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي، عبد الحميد الراضي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، 1975.
- شرح شواهد شرح التحفة الوردية، تأليف عبد القادر بن عمر البغداديّ، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن علي الشَّلَّال، ط1، مكتبة الرّشد، الرياض، 2001.
- شعر الببغاء، دراسة وتحقيق: د. سعود محمود عبد الجابر، ط1، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، الدوحة، عمان، 1983.
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
- شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي، حاتم الضامن وضياء الدين الحيدري، دار المعارف، بغداد، 1973.
- شعر النامي، جمع وتحقيق: صبيح رديف، مطبعة دار البصري، بغداد، 1970.
- شعر بكر بن النطاح، تحقيق: الأستاذ حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد، 1975.
- الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث، د. محمد حسين الأعرجي، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، 2007.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوّقه، إليزابيت درو، ترجمة، د. محمد إبراهيم الشوش، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت– نيويورك، 1961.

- شعر مروان بن أبي حفصة، جمعه وحققه وقدّم له: د. حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1982.
- الشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسمل بن قتيبة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964.
- شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري، تأليف محمّد جبار المعيبد، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1977.
- الشّقائق النّعمانيّة في علماء الدّولة العثمانية، تأليف: طاشكبري زاده (ت968هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975.
- الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، د. عبد الله بن علي ثقفان، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996.
- الشيخ علاء الدّين الوداعي الكندي حياته وشعره وما بقي من ديوانه، د. رائد عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن، 2017.
- الصراع الصفوي العثماني وتأثيراته على المشرق العربي، محمّد عبد الرزاق العوفي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2008.
- صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، د. جعفر الطيار، ط1، وزارة الإعلام، 1971.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992.
- الصورة الفنية معيارًا نقديًا، د.عبد الإله صائغ، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1987.

- طبقات الشافعية، أبوبكر بن أحمد بن محمّد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدّين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1986.
- طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت476هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970.
- طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، المؤلف: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبوبكر (ت ٣٧٩ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1980.
- العراق في العهد العثماني، د. علاء موسى كاظم نورس، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979.
- العراق في العهد العثماني الثاني، د. خليل علي مراد، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2018.
- العروض الواضح، د. ممدوح حقي، ط16، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1984.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تأليف: بدر الدّين محمود العيني (ت855هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010.
- علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة، القاهرة، 1986.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، ط5، دار الجبل، بيروت،1981.

- عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، كمال أحمد غنيم، مكتبة مدبولي الصغير، 1998.
- العهد العثماني، د. محمود شاكر، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.
- الغزل في الشعر العربي، سراج الدّين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، مصر.
- فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1961.
- فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، ط1، منشورات دار الشرق الجديد، 1962.
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د. مصطفى الشكعه، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1998.
- الفوائد الذهبية من سير أعلام النبلاء، المؤلف: فهد بن عبد الرحمن العثمان، جمع وإعداد: فهد بن عبد الرحمن العثمان، ط1، دار الشريف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
- في الأدب والنقد، د. محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.
- في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د. كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، 1974.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1964.
- في النّقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964.

- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط5، مكتبة النهضة، بغداد، 1962.
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، 1979.
- قضية الشعر الجديد، د. محمد النويهي، مطبعة العالمية، مصر، 1964.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تأليف: أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1971.
- لطائف المعارف، تأليف: أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة، 1992.
- لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، د. صادق حسين كنيج، ط1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، 2008.
- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي، منشورات وزارة الثقافة الإعلام، العراق، 1985.
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا مبارك، ط1، منشورات دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1993.
- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، ط1، انتشارات الشريف الرضي، إيران، 1993.
- المحاضرات والمحاورات، تأليف: الإمام جلال الدّين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، 2003.

- محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية، تأليف: صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، 1957.
- المخصص، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996.
- مدخل إلى البلاغة العربية، د. مسلم أبو العدوس، ط3، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2013.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 2002.
- مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تأليف: أبو محمد عفيف الدّين عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت768هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ط3، مطبعة حكومة الكويت، 1988.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط5، دار الفكر، 1973.
- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، د. بكري شيخ أمين، ط4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1986.
- المعارف، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.

- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1991.
- معجم الأدباء، شهاب الدّين أبوعبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغداديّ، ط3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984.
- معجم الشعراء، تأليف: أبوعبد الله المرزباني (ت384هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، 1959.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، دار صادر، بيروت، 1928.
- المعجم المفصّل في اللغة والأدب، د. إميل بديع يعقوب ود. ميشال عاصي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
- معجم المؤلِّفين، عمر رضا كحَّالة (ت1408هـ)، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1957.
- مفتاح العلوم، تأليف: أبومحمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1937.
- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995،
- المقتضب، تأليف: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت286هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
- منهج البحث الأدبي عند العرب، د. أحمد جاسم النجدي، وزارة الثقافة، العراق، 1978.
- موسيقى الشعر العربي، شكري محمد عياد، ط4، دار المعرفة، القاهرة، مصر، 1968.
- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: يوسف بن تغري بردي (ت874هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 1972.
- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، د.أمجد الطرابلسي، ط5، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1971.
- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1989.
- هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغداديّ (ت1399هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، أعادتْ طبعَه بالأوسفت دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدّين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تأليف: القاضي علي عبد العزيز الجزجاني (ت392هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ط4، 1966.
- الوصف في الشعر العربي، عبد العظيم قناوي، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1949.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت681هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تأليف أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، شرح: د. مفيد محمّد قميمة، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

- الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية، مفرح إدريس سيد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1997.
- ديوان "أهنى المنائح في أسنى المدائح" دراسة وتحقيق: زيد غلب الشمري، إشراف: د. زايد مقابلة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2007.
- لغة شعر ديوان الهذليين، علي كاظم محمد علي المصلاوي، إشراف: حاكم حبيب الكريطي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة،1999.
- مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، فاطمة سعيد أحمد، إشراف: د. عبد الحكيم حسّان عمر، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1989.
- منهج ابن الشعار الموصلي (ت654هـ) في كتابه قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، منى شفيق توفيق، بإشراف: د. نادية غازي العزاوي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2007.
- النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع للهجرة، عبد الهادي خضير نيشان، بإشراف: د. ماهر مهدي هلال، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1989.

البحوث:

- أدب العراق في العهد العثماني، د. علي أحمد الزبيدي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 26، 1979.
- دوافع الصراع العثماني الصفوي على العراق في العهد العثماني، رجاء حسين الخطاب، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد،53، 2001.
- ديوان الشريف البياضي ت468 جمع وتحقيق ودراسة، د. فهد نعيمة مخيلف، مجلة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، المجلد 21، العدد ثلاثون، 2019 : 262.
- عبد القادر البغدادي مؤلف خزانة الأدب الكبرى، محب الدين الخطيب، مجلة الزهراء، العدد الرابع، 1928.

Abstract

The present thesis deals with a significant topic in Arabic thought, that is, Choice, especially poetic one. Since choice is an act of the choosing self in its interaction with texts, thus this recipient personality will have the status it deserves in the history of Arabic literature, paying due attention to the reading and critical efforts it will perform on these texts, then choosing according to reasons related to the intellectual, artistic and aesthetic values reflected by these texts**.**

In my study, I chose one of the biographies that appeared in the eleventh century AH to study it and learn about its secrets, rules, and method of selection so that I could benefit from the scientific benefits in this field of study. Due to the nature of the study, it was divided into three chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion and a list of sources and referenc**es.**

The introduction was entitled "The Political, Social, and Literary Aspects of the Era of Al-Baghdadi." The first chapter, entitled "The Author and His Book," focused on the author's life, the writer's approach to the book, and the most important sources he relied on. The first chapter consisted of three sections: the first dealt with the author's life, while the first chapter dealt with The second is his approach to choosing translations and the third is his sources.

ln the second chapter, I studied the choices and the foundations of choice adopted by the author, and they were based on two topics: thematic choice, and the temporal and spatial choice. The third chapter was concerned with studying the artistic foundations of the choices, and they were based on three topics: words and structures, the artistic image, and music. This was followed by the most prominent results reached by the research. It is followed by a list of the most important sources and references that informed the study.

University Ministry of Higher Education

and Scientific Research of Karbala

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic Language/Graduate Studies

Al-Baghdadi’s approach (died 1093 H) in his literary choices in the book Biographies of Writers

A dissertation

submitted by Raghad Jaber Makki Hamza Al Maliki

To the Council of the College of Education for Human Sciences at the University of Karbala. It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language / Literature.

The supervisor:

Asst. Prof. Dr. Ali Kaream Humadi Al Mesoudi

2024 A.D

1445 A.H